ثورة
الإمام الشهيد زيد بن علي
(عليه السلام)

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الخامسة
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d - althagafhalqurania.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن أصحابه الأخيار المنتجبين وعن سائر عبادك الصالحين.

وبعد:

ففي الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام من كل عام يستذكر أبناء بلدنا اليمن -من واقع مظلوميتهم الكبرى ومعاناتهم وما يواجهونه في تصديهم لقوى الشر والطغيان التي تستهدفهم في أمنهم واستقرارهم واستقلالهم وحريتهم واقتصادهم بل تستهدف وجودهم - يستذكرون حدثاً عظيماً وثورة عظيمة بقيت آثارها وامتدت نتائجها على مدى الزمان حتى اليوم.

رائد تلك الثورة وقائدها هو عظيم من أعلام الأمة الإسلامية، ونجم من نجوم الهداية، ذلكم هو: الإمام الثائر الشهيد زيد بن علي (زين العابدين) بن سبط رسول الله الإمام الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وابن علي أمير المؤمنين (عليهم السلام).

وهذه المادة التي جمعتها عن جوانب من حياة الإمام زيد سلام الله عليه

هي في أغلبها من محاضرات السيد حسين بن بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه)**، وأخيه السيد عبد الملك حفظه الله وذلك للاستفادة منها في معرفة جزء من حياة هذا الرجل العظيم.**

والله الموفق

بتاريخ ٢٥ محرم ١٤٣٩هـ

❊❊❊

كيف نقرأ تاريخ أهل البيت (عليهم السلام)؟

حري بنا – نحن المسلمين – أن نعود إلى تاريخ أعلامنا وهداتنا من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، لنتأمل:

كيف كان حملهم لمسؤولية الأمة؟

كيف كانوا على مستوى عالٍ من الهِمَّة العالية والصبر، والثبات، والعطاء.

وما واجهوه من طغيان المستبدين في سبيل المستضعفين من الأمة من جهة.

وما كابدوه من تخاذلٍ الأمة عن حقها في اتجاه ثانٍ.

كل ذلك.. يزيدنا عزماً إلى عزمنا، وصبراً إلى صبرنا، واستعداداً للعطاء

فلهذه المناسبات أثر عظيم على المستويات النفسية الفكرية والعملية.

فما يربطنا بأعلام الهدى:

أنبياء الله أولاً.

ثم أعلام الهدى من عترة الرسول هو ذلك الخط.. خط الهداية الممتد عبر الأزمان لكل أمة ولكل جيل حتى نهاية التكليف وانقضاء الحياة، ما يربطنا بهم هو الشيء الكثير والمهم جداً لا مجرد ذكريات فرح أو حزن، أو أحاديث عن مولد أحدهم أو استشهاد آخر.

ما يربطنا بهم هو أعظم الروابط بعد ارتباطنا بالله سبحانه وتعالى بل هو جزء من ارتباطنا بالله سبحانه وتعالى، يربطنا بهم الاقتداء

والاتباع والاهتداء والتمسك، هم لنا القدوة والقادة، هم لنا النور الذي نستضيء به في ظلمات الجهل والباطل والطغيان، ولذلك.. يجب أن نحرص أن نتعرف على تاريخهم المشرق فكل واحد منهم يمثل مدرسة متكاملة نتعلم منها أبلغ الدروس والعبر، خصوصاً ونحن في مواجهة مباشرة مع قوى الشر والعدوان نخوض أكبر معركة على مستوى الدنيا بكلها.

واقعة كربلاء (٦١ هـ) وما كشفته

باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) سبط رسول الله ووريث رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؛ كشفت واقعة كربلاء - فيما كشفته - بكل ملابساتها، بالكيفية التي وقعت فيها، كشفت عن مدى السوء الذي وصل إليه حال الأمة، ومدى الانحراف الخطير الذي أصابها، بل إن هناك تغيراً كبيراً بمستوى انقلاب كامل على الإسلام، وعلى القرآن وعلى رسول الإسلام، وتعاليمه، ومبادئه، وأخلاقه، على مشروعه المتكامل، لقد كان ذهابا بالأمة باتجاه جاهلية أخرى أسوأ من الجاهلية الأولى، أسوأ منها كثيراً كثيراً.

الأمة تدفع ثمن تفريطها

كيف يمكن أن تتوقع مصير الأمة بعد هذه الفاجعة التي كان ضحيتها ذبح ابن بنت رسول الله وسبي بناته !!

أتتوقع أن يخشى بنو أمية قتل أحد أو يتورعوا عن هتك أية حرمة !!

ثم.. كيف تتخيل أن يكون حال الأمة التي خذلت أهل بيت نبيها !!

وفعلاً فإن الأمة -منذ ذلك الحين - لم تزدد إلا انحطاطاً، وهواناً !!

لم تزدد إلا ابتعاداً عن دينها، عن رسولها !!

لم تزدد إلا ارتماءً تحت أقدام المجرمين، ووقوفاً في صف الطغاة، ومناصرةً وانطلاقةً في الإثم والعدوان !!

وفي سنة ١٢٢ هجرية تتكرر المأساة نفسها بحفيد الإمام الحسين.. الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) الذي تحرك في الطريق نفسه، ومن أجل القضية نفسها، وللمبدأ نفسه، لإحياء ما اندثر من دين الله، ولإصلاح أمة جده رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله)، وكيف لا يستشعر المسؤولية وقد ورث عن جده قيم هذا الدين.. عزيمة هذا الدين.. الروحية التي يخلقها هذا الدين، تلك الروحية التي تنشأ أثراً من آثار هذا الدين !!

كان (عليه السلام) يتحرك على هذا الأساس في حياته.. في مواقفه..

كان (عليه السلام) يجسد تعاليم الإسلام متأسياً بجده المصطفى (صلى الله

عليه وآله وسلم)، وارثاً عنه مكارم الأخلاق، أخلاق الإسلام العظيمة، على مستوى راقٍ، على مستوى عظيم.

كربلاء تؤسس لقهر الأمة على امتداد التاريخ

ما بين يوم كربلاء واستشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب في ١٠ محرم من سنة ٦١ هجرية وبين يوم الكناسة واستشهاد الإمام زيد بن علي بن الحسين في ٢٥ محرم من سنة ١٢٢ هجرية، عاشت الأمة مرحلة عسيرة فيها الجور والتضليل، فما وقع في كربلاء كان قد أسس لظلم الأمة وقهرها على امتداد التاريخ.

و هنا..سنحاول أن نقدم صورة موجزة عن تلك المرحلة لنعرف إلى أي درك وصلت الأمة..

تولى يزيد بن معاوية الحكم سنة ٦٠ هجرية واستمر حكمه الظالم للأمة لمدة ٣ سنوات كلها حافلة بالظلم والقهر لهذه الأمة التي فرطت في ابن نبيها وأسلمته لأعدائه ليقتلوه بدم بارد.

وقد تحدث سعيد بن المسيب عن تلك السنوات التي كان يصفها بالشؤم وما كان فيها من الجرائم فقال:

في السنة الأولى قُتِلَ الحسينُ بن علي وأهل بيت رسول الله،

والثانية استُبِيحَ حرمُ رسول الله وانتُهِكَت حرمةُ المدينة،

والثالثة سُفِكَت الدماءُ في حرم الله وحُرِقت الكعبةُ.

هذه من أبرز الجرائم التي وقعت في زمن يزيد خلال حكم يزيد، وإلا.. فكل حكمه جَوْر وبغي، سام الأمة سوء العذاب فحول المسلمين إلى عبيد، وجعل أموالهم غنيمة له ولزمرته من أوباش الناس الذين أطلقهم كالكلاب المسعورة تنهش في جسد هذه الأمة.

نهاية الدولة السفيانية

بعد هلاك يزيد بن معاوية آل المُلْك بعده إلى ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية وبقي في الحكم أربعين يوماً، وقيل: بل أربعة أشهر، بيد أن هذا الرجل كان قد هاله ما كان قد اقترفه أبوه يزيد وجده معاوية من جرائم بحق الأمة، فخطب الناس فقال - بعد حمد الله والثناء عليه -:

«أيها الناس.. فإنا بُلِينا بكم وبُلِيتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا.

ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحق في الاسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبو بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهينا بعمله، ثم قَلّد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلَّت منعته، وانقطعت مدته، وصار في حفرته رهيناً بذنبه، وأسيراً بجرمه».

ثم..بكى، وقال:

«إن أعظم الأمور علينا: علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلد أموركم، ولا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظنا، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها».

وبهذا البيان أعلن معاوية بن يزيد نهاية الفرع السفياني من الدولة الأموية (وليتعرض بعدها للاغتيال) ولتبدأ مرحلة الفرع المرواني من الدولة الأموية أيضاً فقد آل الحكم إلى مروان بن الحكم ليواصل هو وأولاده – من بعده – سيرة يزيد بن معاوية وما أقبحها من سيرة !!.

الأمة الإسلامية في قبضة طواغيت بني أمية

و هكذا.. وقعت الأمة فيما كان قد حذرها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) منه حينما نبه الأمة لخطورة بني أمية إذا تمكنوا من الحكم...

ففي وقت مبكر أطلق الرسول الكريم صيحة تحذيرية للأمة لتكون على حذر وليكون حجة عليها يوم القيامة؛ فأخبر عن بني أمية أنهم إذا تمكنوا: **«اتخذوا دين الله دغلا وعباده خولا وماله دولا».**

وهو ما كان ..فمنذ أن سيطر بنو أمية على رقاب هذه الأمة إلى اليوم، رأينا كل سلاطين الجور وكل الحكومات المستبدة الجائرة التي حكمت الأمة تسير على هذا النحو..

تستهدف الأمة في تحريف مفاهيمها الدينية وفي إفساد أخلاقها وفي ضرب قيمها تستعبد الأمة فتحول الناس إلى عبيد وخدم ثم تستأثر بفيئهم.. بمالهم.. بثرواتهم، وتفقر الأمة وتشتري الذمم من ذلك المال الذي هو حق للأمة؛ هذا هو الذي عانت منه الأمة كثيراً وما زالت تعاني !!

منذ فاجعة كربلاء إلى ثورة الإمام زيد بن علي (عليه السلام) **تسلط على الأمة من بعد معاوية بن يزيد ستة طواغيت: مروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك،و يزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك** [1].

وفي حكم الطاغية (هشام بن عبد الملك) كانت ثورة الإمام زيد بن علي (عليه السلام).

وفي هذه الحقبة الزمنية ـ منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) **في العام (٦١هـ) إلى تحرك الإمام زيد** (عليه السلام) **عام (١٢٢هـ) ـ منيت الأمة بأقسى أنواع الظلم والطغيان... مما سبب انحطاط الأمة أكثر مما كانت عليه في زمن الإمام الحسين** (عليه السلام).

---

(١) ما عدى فترة حكم عمر بن عبد العزيز والذي وصل إلى الخلافة بوصية من سليمان بن عبدالملك، وكانت فترة ولايته من (٩٩ إلى ١٠١هـ) أصلح في هذه الفترة جزءًا من فساد بني أمية، وخاصة ما يتعلق بظلم أهل البيت (عليهم السلام) وسبهم من على المنابر، ويكفيه أنه استبدل لعن الإمام علي وأهل البيت في آخر الخطبة الثانية بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠] إلا أنه سرعان ما عاد ظُلمهم بوفاته وعودتهم مرة أخرى إلى التحكم على رقاب الأمة.

مصير الأمة التي تفرط في قادتها ورموزها

وما بين نهضة الحسين بن علي ونهضة حفيده زيد لم تخل الأمة من أحرار نهضوا لمواجهة جور بني أمية إلا أن الآثار السيئة للتفريط والتقصير والتخاذل كانت تثقل كاهل المجتمع الإسلامي.

فلقد قامت حركات بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) انتقاماً من قتلة الحسين (عليه السلام) ولكن لم يكتب لها الاستمرارية مثل:

- ثورة التوابين.
- ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي
- ومن تلك الثورات أيضاً ثورة الإمام أبي محمَّد الرضا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام): الذي ولد حوالي عام ٤٢هـ، ودعا إلى الله في أيام عبد الملك بن مروان بعد عام ٦٥هـ، وجاهد الأمويين الظالمين، وانظم إليه ابن الأشعث ومن معه من التوابين في الجهاد للطغاة، ثم خذله أصحابه، ومات مسموماً زمن الوليد بن عبد الملك بعد عام ٩٠هـ، عمره ٤٨ أو ٤٩، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة في الحجاز.

لماذا لم يكتب لتلك الثورات النجاح؟

كانت ثورات قادها أبطال محنكون في السياسة وتهيأت لهم الظروف الكثيرة والكبيرة ولكن لماذا لم يكتب لها النجاح؟.

أجاب السيد حسين (رضوان الله عليه) عن هذا السؤال في (دروس من وحي عاشوراء) بقوله:

«هم فرطوا.. وعندما يفرط الإنسان فيما يسمع ستأتي البدائل المغلوطة، إما أن يتلقاها من أمثاله ممن يفهمون الأمور فهماً مغلوطاً، ممن لا يعرفون عواقب الأمور، أو من جهة نفسه هو فيكون هو من يحلل، ومن يحاول أن يضع لكل قضية حداً معيناً، يظن أنها لا تتجاوزه. ربما كانوا يتصورون أن الحسين هو المشكلة.. يمكن أن يُصفى الحسين وتبقى الأجواء طبيعية!.

بعد أن قُتل الحسين (عليه السلام) هل بقيت الأجواء طبيعية؟ هل استقر وضع أهل العراق؟ أم بدأ العراق يغلي، أم بدأت النكبات، والكوارث تتابع على أهل العراق جيلاً بعد جيل إلى هذا العصر الذي نحن فيه، لم يسلم أهل العراق، لم يسلم لهم دينهم، لم تسلم لهم دنياهم، لم تسلم أنفسهم..

وعندما يكون الإنسان من هذه النوعية فقد يصحوا في يوم من الأيام لكن في الوقت الذي لا ينفع. أهل العراق ندموا بعد، وتاب الكثير من تفريطهم في الإمام الحسين إذ لم ينصروه وخرجوا ثائرين، وقتلوا مَنْ قتلوا الحسين (عليه السلام) وثأروا لقتله لكن بعد فوات الأوان، بعد فوات شخصية عظيمة كالحسين.

لو كانت تلك التضحية، لو كان ذلك الصمود، لو كان ذلك التفاني، لو

كان ذلك الاهتمام، لو كان ذلك الوعي في وقته، يوم كان الحسين متوجهاً إلى الكوفة لاستطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ بأكمله، وليس فقط وجه العراق، لاستطاعوا أن يعيدوا الأمة إلى ما كان يريد لها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن تكون عليه.

قتلوا الآلاف، وقُتل منهم الآلاف لكن بعد فوات الأوان، بعد فوات شخصية كالإمام الحسين. وأعظم ما تتعرض له الأمة، أو من أعظم نكبات الأمة أن تفقد عظماء كالحسين وعلي وزيد والحسن وأمثالهم من أعلام الهدى، خسارة عظيمة.

الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام)

كيف كان دور الإمام زين العابدين (عليه السلام) خلال هذه الفترة؟

أجمع أهل الإسلام على أن الإمام الوصي زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1]، كان أفضل أهل عصره، عبادةً وعلماً.

وقد عده الإمام الهادي يحيى بن الحسين ـ (عليه السلام) – من الأوصياء، وهذا مقام جليل، معروف حقه، له الإمامة والزعامة.

شخص السيد حسين (رضوان الله عليه) الوضع بعد الإمام الحسين (عليه

(١) ولد عام ٣٨ هـ، ووتوفي في المدينة المنورة عام ٩٤ هـ، وكان قد نجى من واقعة كربلاء لمرضه، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة في الحجاز، في مشهد أهل البيت (عليهم السلام).

السلام) وبالتحديد في زمن الإمام علي زين العابدين (عليه السلام) وكيف كان دوره فقال في (شرح دعاء مكارم الأخلاق - الدرس الأول):

كان الواقع الذي عاش فيه [زين العابدين] واقعا مظلما، أمة هُزِمت وقُهِرت، وأُذلّت تحت أقدام يزيد، وأشباه يزيد، لكنه هو من عمل الكثير الكثير وهو يوجه، وهو يعلِّم، وهو يربي، أليس الإمام زيد هو ابنه؟ من أين تخرج الإمام زيد؟ إلا من مدرسة أبيه زين العابدين.

إن الحالة التي كان فيها حالة فعلاً شديدة، بالغة الشدة النفوس مقهورة ومهزومة والأفواه مكممة، لكن زين العابدين من أولئك الذين يفهمون بأن المجالات دائماً لا تغلق أمام دين الله فانطلق هو ليعلم ويربي، ويصنع الرجال؛ لأنه يعلم أنه إن كان زمانه غير مهيأ لعمل ما فإن الزمان يتغير فسيصنع رجالاً للمستقبل. وصنع فعلاً وخرج الإمام زيد (عليه السلام) شاهراً سيفه في سبيل الله، وترك أمة ما تزال تسير على نهجه من ذلك اليوم إلى الآن...

وكلنا نعرف ذلك الظرف القاهر الذي كان يعيشه زين العابدين (صلوات الله عليه)، لكن ننظر ماذا عمل زين العابدين، بنى زيداً، وبنى الكثير من الرجال، الذين انطلقوا فيما بعد حركة زيدية جهادية جيلا بعد جيل على امتداد مئات السنين...

وقد يكون في واقعه ليس ممن رضي لنفسه تلك الحالة التي كان عليها، لكن ذلك هو أقصى ما يمكن أن يعمله، لا يستطيع أن يخرج هو فيعلن الدعوة إلى إعلاء كلمة الله ونصر دين الله، ليس لضعفه هو، أو لعدم كماله،

وإنما رأى الناس من حوله كلهم مهزومين، كلهم مقهورين، فمن الذي يستطيع أن يحركهم؟.

الوضعيات التي يفرضها المتخاذلون

وهذه أحيانا تحصل، تحدث وضعيات كهذه، لكنها وضعيات هي نتيجة تقصير من قبل الناس أنفسهم يوم تخاذلوا مع علي (عليه السلام) كانت نتيجة تخاذلهم قوة للباطل في جانب بني أمية، جعلت مواجهتهم لذلك الباطل في أيام الإمام الحسن صعبة جداً، تخاذلوا معه أيضاً، جعلت المواجهة في أيام الإمام الحسين أكثر صعوبة أيضا، وصل الحال إلى أن يصبح واقع الأمة في عصر زين العابدين هو الانكسار، الهزيمة المطلقة، هي الظروف الصعبة، هي الحالات السيئة التي يصنعها تخاذل الناس.

هي حالات يخلقها - أحياناً - ضعف وعي ممن ينطلقون للعمل، وإن كانوا تحت راية علي (عليه السلام) ويحملون اسم جند الله، وأنصار الله لكن وعيهم، لكن إيمانهم القاصر، إيمانهم الناقص أدى إلى أن يرتكبوا جناية على الأمة فضيعة.

زيد بن علي (عليه السلام)

الإمام الشهيد زيد بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أحد نجوم أهل بيت النبوة، وعظيم من عظماء الأمة، عرفته كل الأمة وأقرَّت بفضله وعمله، وأقرَّت بمقامه العظيم في دين الله.

هو من الأُسرة الطاهرة والبقية الباقية من آل رسول الله محمد(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الذين أمرنا الله بمودّتهم ومحبّتهم وجعل ذلك هو الأجر على تبليغ الرسالة، المكافأة لنبي الله محمد، لما قدمه للأمة كلها من هدىً وزكاءً، وإخراجاً لها من الظلمات إلى النور فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

هو من نجوم العِترة الطاهرة الذين أمرنا الله بالتمسك بهم، والاهتداء بهم، والسير في طريقهم، والتمسك بمنهجهم، والاقتفاء بإثرهم، وواحد من نجوم تلك العِترة الذين قال عنهم رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «**إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**».

هو واحدٌ من العترة الطاهرة، من نجومها وأعلامها وهداتها الذين قال عنهم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «**أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى**»، هذا منبته ومنبعه وأسرته.

أبوه زين العابدين وسيِّد الساجدين الذيَ تُقِرُّ الأمة كلها بعظيم فضله وسناء مكانته، وزين العابدين(عليه السلام) هو نجل الإمام الحسين(عليه السلام) المتبقي في كربلاء من أُسرته بلطفٍ من الله وبرعاية كي لا ينقرض النسل الحسيني.

فزين العابدين (عليه السلام) بصفاته تلك، هو الذي ربَّى زيداً، ربَّاه على الإيمان، على التقوى، على العلم، على الفضل.

ثم من بعد زين العابدين (عليه السلام).. تولى تربيته أخوه الإمام محمد الباقر (عليه السلام).

ولعظمة زيد بن علي ولما تدخره يد القدرة الإلهية فقد روي أن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نظر ذات يوم إلى زيد بن حارثة فبكى وقال: «**المقتول في الله، المصلوب من أمتي، المظلوم من أهل بيتي سَمِيُّ هذا**» وأشار إلى زيد بن حارثة ثم قال: «**أدن مني يا زيد، زادك اسمك عندي حباً، فإنك سَمِيُّ الحبيب من ولدي**».

قبل عام واحد من مولد زيد بن علي دخل أبو حمزة الثمالي على زين العابدين فقال له زين العابدين:

يا أبا حمزة ألا أخبرك عن رؤيا رأيتها؟

قال: بلى يا ابن رسول الله.

قال: رأيت كأن رسول الله أدخلني جنة، وزوجني بحورية لم أرَ أحسن منها، ثم قال لي: يا علي بن الحسين: سمّ المولود زيداً فيهنيك زيد.

قال أبو حمزة: وإنها لرؤيا دفعتها عناية الله وحكمته إلى التصديق، فما هي إلا أيام قلائل، وإذ بالمختار بن أبي عبيد يبعث إلى الإمام علي بن الحسين بفتاة سندية تدعى (جيدا) كان قد اشتراها، فوجدها حورية بحق: ديناً، وخلقاً، وحياءً، وأدباً، تجدر بأن تكون سكناً لعلي بن الحسين،

فاختصها السجاد لنفسه، بعد أن خيرها بين أبنائه فأبت - في إجلال - إلا هو، ومنها أنجب ابنه المنتظر (زيد بن علي).

قال أبو حمزة: فحججت عاماً آخر فأتيت علي بن الحسين، فلما دخلت عليه وجدته حاملاً لطفل صغير، وهو يقول: يا أبا حمزة هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا.

نشأته المباركة

وهكذا نشأ زيد بن علي(عليه السلام) في تلك الأُسرة الطاهرة المؤمنة التي هي على أرقى درجات الإيمان، تربى تربية الإيمان، تربية التقوى، تربيةً على الفضل والخير والقيم والأخلاق وتشرَّب فيها مبادئ الحق.

ونشأ نشأةً مميزةً، فكان متميزاً منذ بداية نشأته منذ بداية شبابه متميزاً بتقواه، بإيمانه بخشيته من الله، متميزاً بفهمه الثاقب واستيعابه الكبير، ومتميزاً أيضاً بارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، ينبوع العلم، ينبوع المعرفة، منبع الهدى، حتى عُرف زيدٌ(عليه السلام) بـ(حليف القرآن)،

قال أبو الجارود: قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي ذاك حليف القرآن.

وهذا الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم رأينا أثره حينما نقرأ التاريخ في شخصية الإمام زيد(عليه السلام) في أخلاقه، في اهتماماته، في مساره العملي بكله.

عُـرف الإمـام زيد(عليه السلام) بأنه عظيم الخشـية من الله، فـكان حينما يقرأ بعضاً من آيات القرآن الكريم، ويتأملها أو يسمعها في بعض المقامات يسقط مغشياً عليه.

وعُرف أيضاً بهذا الأثر الإيماني في واقعه بكله، في علاقته المتميزة بالله، في أخلاقه وقيمه، في المسؤولية ومواجهة الجائرين، فعلى مستوى الالتزام والتقوى هو القائل(عليه السلام):

«والله مـا كذبـت كذبةً منـذ عرفت يميني من شـمالي، وما انتهكت لله محرماً منذ عرفت أن الله يعاقب عليه».

هـل بعد هذه النشـأة من نشـأة، على هذا المسـتوى العالي مـن الالتزام والتقوى؟

هو أيضاً القائل:

«والله لـو علمـت أن رضـاء الله عز وجل في أن أقـدح ناراً بيدي حتـى إذا اضطرمت رميت بنفسـي فيها لفعلت» يعني: لو كان ذلك مني يرضي الله لفعلته، هكذا كان في انشداده إلى الله، في تقواه إلى الله، في ذوبانه في طاعة الله سبحانه وتعالى.

ثـم في إطـار المسـؤولية أيضاً من أهـم ما يُدلِّـل على التقوى: مسـتوى اهتمامـك بالمسـؤولية، ليـس فقط خشـوعك في حالـة صلاتـك، أو تأثُّرك النفسـي فـي مشـاعرك وأنـت تتلـو القـرآن؛ بـل فـي المسـارات العمليـة؛ والمسـارات العملية هـي من أهم الشـواهد على التقوى والإيـمان، وهكذا

كان الإمام زيد(عليه السلام) سواءً على مستوى الالتزام والتقوى، أو على مستوى القيام بالمسؤولية ومواجهة الجائرين.

كان زيد فصيحاً بليغاً حتى وصل إلى درجة أنه صار يُشَبَّه بأمير المؤمنين في الفصاحة والبلاغة والبراعة.

ويروى بأن الناس كانوا يتابعون كلام الإمام زيد، ويحفظونه كما يحفظ النادر من الشعر، والغريب من الحكم، ولهذا قال هشام في رسالة له إلى يوسف بن عمر:

(امنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي، فإن له لساناً أقطع من ظُبَة السيف، وأحصد من شبا الأسنة، وأبلغ من السحر والكهانة).

حرصه الكبير على الأمة واستشعاره للمسئولية

الإمام زيد(عليه السلام) كان فيما يحمله من همٍّ وألمٍ وحرصٍ على إنقاذ أمة جَدِّه لدرجةٍ عبَّر عنها فقال:

«والله لوددت أن يدي ملصقةٌ بالثريا[1] ثم أقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعةً قطعة وأن يُصلح الله بذلك أمر أمة محمد(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)».

هكذا كان فيما يحمله من همّ، فيما يستشعره من مسؤولية في عظيم

(١) الثريا: مجموعة النجوم البعيدة جداً في عنان السماء.

رحمته بأمة جَدِّه، وحنانه وشفقته، إنسان. إنسان بقيم عظيمة يتحرّق على واقع الناس لا كما هو حال الكثير من الناس حتى من المحسوبين على الدين ممن لا يبالي بالناس في أي حالٍ كانوا أو في وادٍ هلكوا!،

حرقة القلب والألم على الواقع المرير الذي تعيشه الأمة، وبهذا الحرص تحرك في واقع الأمة ليعمل على استنقاذها مما هي فيه، ثم من تلك الدوافع دافِع المسؤولية، فهو حليف القرآن، «أليس زيد حليف القرآن»، لذا رآيناه يقول:

والله ما يدعني كتاب الله أن أسكت».

«**والله ما يدعني كتاب الله أن أسكت**»، هذا الانتماء الواعي للقرآن الكريم الذي ترتب عليه الالتزام، والعمل، والاتباع، هو الذي غاب عن واقع الأمة وللأسف، وإلاَّ فالقرآن ليس كتاب زيد بن علي وحده، أو أن ما فيه من توجيهات وأوامر حرَّكت زيداً في ميدان الحياة، ليُقدِّم نفسه قرباناً لله وليواجه الطاغوت دون خوف، أو تردد، أو تلكؤ.. وحده.

كلا ليس خاصاً بزيد، ولا تلك المسؤوليات خاصةً بالإمام زيد (عليه السلام).

نحن- المسلمين -بقدر إيماننا، بقدر اهتدائنا بهذا الكتاب بقدر مصداقيتنا في انتمائنا لهذا الدين، في ارتباطنا بهذا الكتاب الذي هو منهج الله الحق، هذا القرآن هذا الكتاب الذي لم يدع زيداً ليسكت، لماذا اليوم يسكت الكثير والكثير من الذين يقدِّمون أنفسهم على أنهم متدينين، والبعض منهم ربما

يقرأ هذا الكتاب عن ظهر قلب غيباً يحفظه آيةً آية، ويتلوها في أي وقت، كم في واقع الأمة من مدارس لتعليم القرآن، وتحفيظه ومع هذا ونرى كثيراً من القائمين عليها يتعاملون باستغلال في كل شيء، في مسلكهم ومسارهم في الحياة بعيد كل البُعد عن هذا الكتاب وعن توجيهاته وعن مساره الذي رسمه لنا في واقع الحياة.

الرحلة القسرية إلى الشام

لقد كان الإمام زيد كما أراد له أبوه زين العابدين(عليه السلام) فقد عمل منذ النشأة المبكرة على تحقيق هذه الأهداف، من خلال تدريسه لطلاب العلم، وعبر مناظراته وحواراته، وخطبه وكتبه، ورسائله.. وهكذا كان ينشر ثورته عبر كل وسيلة، وحتى في ترحاله، كان يحمل ثورته معه، ويلقي ببذورها حيث ما مر، فهو لما ودع المدينة المنورة -مدينة جده - في رحلته الإجبارية إلى الشام كان قد تحرك فيها، وأقام الحجة على أهلها بما تطمئن له نفسه، وهذا ما أثار قلق العرش الأموي، وجعل الطاغية هشام يسارع في طلبه.

بعد أن طلبه هشام إلى الشام شَعر الإمام زيد (عليه السلام) بما يضمره هذا الطاغية من الشر، ولكن لم يكن أمام الإمام زيد(عليه السلام) إلا المسير إلى الشام فتوكل على الله وودع أهله وأقاربه ودعا الله بهذا الدعاء:

«اللَهُمَّ إنَّك تَعْلَمُ أني مُكْرَهٌ مَجْبُورٌ مضطرٌ غيرُ مختارٍ ولا

مالـك لنفسـي، اللَهُمَّ واكفنـي كَيْدَهُ وألبسْـنِي جُبَّـةَ عِزٍّ لكيلا أخشـعَ لسـلطانه، ولا أرهب من جنوده، اللَهُمَّ وابسُط لساني عليه بإعـزاز الحقِّ ونُصْرَتِه، كـي أقولَ قولَ الحـقِّ ولا تأخُذنِي لومةُ لائم، ولا إذلالُ الجبَّارين، اللَهُمَّ واجْمَعْ قَلْبي عَلَى هِدَايتِكَ، وأرني من إعزازكَ إياي ما يَصْغُرُ به عندي مُلْكُه، وتَذِلُّ لي نَخْوَتُه، اللَهُمَّ فاطْـرَحِ الهيبةَ في قَلْبِه وذَلِّلْ لي نفسـه، واحْبِسْ عَنِّي كَيْدَهُ. ثم قال: إني خارج عن وطني ودار هجرتي وما أراني إليها راجع».

الإمام زيد يلقي نظرة وداع على قبر جده المصطفى

ثـم أتى قبرَ رسـول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسـلم فصلى إلى جَنْبِه، ثم انصرف من صلاته فقال:

«السَّـلام عليك يا رسـول اللّه، السـلام عليك يا نبي اللّه، السـلام عليك يا خيرة الأنبياء وأشـرف الرسـل، السلام عليك يا حبيب اللّه، هـذا آخر عهدي بمدينتك، وآخر عهدي بقبـرك ومنبرك، أخْرجْتُ يا أبَهْ كارهاً، وسِـرْتُ في البلاد أسـيراً يا رسـول اللّه، وإني سـائلك الشـفاعة إلى اللّه عز وجل، وأن يُؤَيِّدَنِي بِثِقَةِ اليقين، وعِزِّ التقوى، وأن يختم لي بشهادة تلحقني بآبائي الأكرمين وأهلي الطاهرين».

الإمام زيد في حاضرة الدولة الأموية

تذكر الروايات أن الإمام زيداً (عليه السلام) استدعي بقوة الدولة الأموية إلى الشـام بعـد أن مارس الإمام زيد جهاد الكلمة وبـدأ بتكوين الأمة التي

تثـور على الطغيـان الأموي، وصل الإمام زيد (عليه السلام) إلى (الرصافة) وحبس هناك حبساً سياسياً لمدة خمسة أشهر.

تجاهل هشـام بن عبد الملك الإمام زيد (عليه السلام) لكن الإمام فرض نفسـه على الناس في السجن وفي خارج السجن، وأصبح محور الحديث فـي مجالس الشـام عموماً، أعجبوا بعلمه وسـماحته، وشـجاعته في كل ما يطـرح، وأقـل ما يقال أنـه لفـت أنظارهم إلى الحـق، وصحـح الكثير من المفاهيـم، وأبـان الكثير مـن الحقائـق التي حـاول الأمويون إخفائهـا زمناً طويلاً.

وبعـد تجاهـل من الطاغية هشـام كما هي عـادة الطواغيت أمـر بإدخال الإمام زيد عليه، أُدْخِل الإمام زيد (عليه السلام) إلى هشام بن عبدالملك ثلاث مرات وكان كل مرة يلقن هشـاماً درساً قاسياً ويفضحه أمام الحاضرين في مجلسه، عندما كان ينطق بالحق في مجلس هشام، ولا يخشى في الله لومة لائم، ممتثلاً قول رسـول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «**أفضل الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر**».

الدخول الأول:

أُدْخِل الإمام زيد على هشام بن عبد الملك فتجاهله هشام فانبرى الإمام زيد قائلاً:

السلام عليك أيها الأحول وإنك لجدير بهذا الاسم.

فاستشاط هشام غضبا وقال: أنت زيد المؤمل للخلافة، وما أنت وذاك وأنت ابن أمَةٍ.

قال زيد(عليه السلام): «**إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن بلوغ الغايات ولا أعرف أحدا أحب عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة وهو إسماعيل بن إبراهيم والنبوة أعظم عند الله من الخلافة ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله تعالى أبا للعرب وأبا لخير النبيين محمد**(صلى الله عليه وعلى آله وسلم) **فلو كانت الأمهات تقصر عن بلوغ الغايات لم يبعثه الله نبياً وما تقصيرك برجل جده رسول الله وأبوه علي بن أبي طالب**».

فلما خرج زيد قال هشام لجلسائه: ألستم زعمتم أن أهل هذا البيت قد انقرضوا لا لعمر الله ما انقرض قوم هذا خلفهم.

الدخول الثاني:

واستدعاه هشام مرة ثانية؛ فجاء وفي مجلسه يهودي يسب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فانتهره زيد (عليه السلام) وقال: **يا كافر أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك.**

فقال هشام: مهٍ يا زيد لا تؤذي جليسنا.

فخرج زيد(عليه السلام) وهو يقول: «**من استشعر حب البقاء استدثر الذل إلى الفناء**».

وقال: «**والله إني لأعلم بأنه ما أحب الحياة قط أحد إلا ذل**».

الدخول الثالث:

دخل عليه مرة ثالثة وقد سمع بأن هشام بن عبد الملك قد أعلن على رؤوس الملأ في يوم حج وأقسم أن لا يأمره أحد بتقوى الله إلا ويقطعن رأسه فلما دخل عليه الإمام زيد قال له:

اتق الله، يا هشام!

فقال هشام: أو مثلك يأمرني بتقوى الله؟

فقال الإمام زيد: **نعم! إن الله لم يرفع أحدا فوق أن يؤمر بتقوى الله ولم يضع أحدا دون أن يأمر بتقوى الله.**

فقال هشام: هذا تحقيق لما رفع إلي عنك، ومن أمرك أن تضع نفسك في غير موضعها وتراها فوق مكانها؟ فترفع على نفسك واعرف قدرك ولا تشاور سلطانك ولا تخالف إمامك.

فقال الإمام زيد: «**من وضع نفسه في غير موضعها أثم بربه ومن رفع نفسه عن مكانها خسر نفسه ومن لم يعرف قدره ضل عن سبيل ربه ومن شاور سلطانه وخالف إمامه هلك. أفتدري يا هشام من ذلك؟ ذلك من عصى ربه وتكبر على خالقه وتسمى باسم ليس له وأما الذي أمرك بتقوى الله فقد أدى إلى الله النصيحة فيك ودلك على رشدك**».

فوثب هشام من مجلسه وقام قائلاً: أخرجوه من مجلسي ولا يبيتن في معسكري.

فخرج زيد وهو يقول: «**سأخرج ولن تجدني والله إلا حيث تكره**».

وخرج وهو يقول: والله ما كره قوم قط حر السيوف إلا ذلوا.

هـذه المواقف تحمـل دلالة واضحة علـى مدى ثقته بـالله، وإجلاله لله، وارتباطـه بالله سـبحانه وتعالـى، واحتقاره للطغـاة والمتجبريـن المنحرفين عن منهج الله سـبحانه وتعالى، لقد بلغ الحال بهشـام بن عبدالملك الطاغية المجرم، المستبد، المتحكم على الأمه بكلها، أن يقول: والله لو قال لي أحد: اتقِ الله لضربت عنقه.

فلم يخف ولم يرهب منه ولم يتهرب من تقديم مثل هذا الأمر والنصح: اتق الله يا هشام.

تبين لهشـام أن زيد بن علي - بلسـانه ومناظراته له في مجلسـه وإلقاء الدروس والعظات على أهل الشام والمسجونين - بات يشكل خطراً عليه؛ لهـذا افتعلـت بحقه قضيـة عامل العـراق (خالـد القسـري)[1] وتزويرهم على لسـانه أنه أودع الإمام زيداً مالاً، كل ذلك للجعجعة والتشـويش على التحرك الجهادي الذي كان يمارسه الإمام سلام الله عليه.

ومن دمشق إلى العراق

وهكذا انتهت إقامة الإمام زيد في الشـام ليرسـله هشام بعدها إلى واليه في العراق ليتدبر أمره.

---

(١) خالـد بن عبدالله القسـري هـذا كان أحد عمال بني أمية المخلصين انتهى به الحال إلى أن يكون أحد ضحاياهم بالسجن ثم أخيراً بالقتل.

كتب هشام إلى يوسف بن عمر:

(إذا قدم عليك زيد بن علي فاجمع بينه وبين خالد بن عبد الله القسري، ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإني رأيته رجلاً حلو اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله).

فلما قدم زيد الكوفة دخل إلى يوسف

فقال زيد: لم أشخصتني من عند هشام؟

قال يوسف: ذكر خالد بن عبد الله القسري أن له عندك ستمائة ألف درهم.

قال زيد: فأحضر خالدا!

فأحضره وعليه حديد ثقيل،

فقال له يوسف: هذا زيد بن علي، فاذكر ما لك عنده!

فقال خالد: والله الذي لا إله إلا هو ما لي عنده قليل ولا كثير، ولا أردتم بإحضاره إلا ظلمه.

فأقبل يوسف على زيد، وقال له: إن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك.

قال زيد: فأستريح ثلاثا، ثم أخرج.

قال يوسف: ما إلى ذلك سبيل.

قال زيد: فيومي هذا.

قال يوسف: ولا ساعة واحدة.

وأخرجه يوسف مع رسل من قبله،

فتمثل زيد بن علي عند خروجه بهذه الأبيات:

منخرق الخفين يشكو الوجى ... تنكبه أطراف مرو حداد
شرده الخوف وأزرى به ... كذلك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

فلما صار رسل يوسف بالعذيب انصرفوا، وانكفأ زيد راجعاً إلى الكوفة.

***

بداية التحرك الثوري ورسم معالمه

أقام الإمام زيد بالكوفة بضعة عشر شهراً، وأرسل دعاته إلى الآفاق يدعون الناس إلى بيعته.

وأقبلت الشيعة وغيرهم يختلفون إليه ويبايعون حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة، سوى أهل المدائن، والبصرة، وواسط والموصل وخراسان، والري، وجرجان.

فكان يقول في دعوته:

«**أيها الناس إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه**(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، **وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وقسم الفيء بين أهله، ورد المظالم، ونصرة أهل البيت على من نصب لهم الحرب، وإلى إحياء السنن وإماتة البدع**».

قال أبو حنيفة لما أتته رسل الإمام زيد (عليه السلام):

هو والله صاحب الحق، وهو أعلم من نعرف في هذا الزمان، فاقرئاه مني السلام، وأخبراه أن مرضا يمنعني من الخروج معه،

وأرسل بثلاثين ألف درهم لإعانته على الجهاد،

وقال أبو حنيفة: والله لئن شفيت لأخرجن معه،

وقال أبو حنيفة رحمه الله: ضاهى خروجه خروج رسول الله يوم بدر.

وقال الأعمش: والله لولا ضَرة بي لخرجت معه.

ودفع جعفر الصادق بولديه للخروج معه وقال:

من قتل مع عمي زيد كمن قتل مع الحسين ومن قتل مع الحسين كمن قتل مع علي بن أبي طالب ومن قتل مع علي كمن قتل مع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

وقال الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية: أما والله لقد أحيا زيد ما دثر من سنن المرسلين وأقام عمود الدين اذا اعوج ولن نقتبس إلا من نوره وزيد إمام الأئمة.

الظروف التي تحرك فيها الإمام زيد (عليه السلام)

كانت الظروف التي تحرك فيها الإمام زيد بن علي (عليه السلام) ظروفاً عسيرةً

فقد كانت الدولة الأموية في أوج قوتها، مسيطرة على كل العالم الإسلامي كله وكان هشام بن عبدالملك يعد من (أعظم خلفاء) بني أمية؟!.

كان ولاة بني أمية يفعلون ما يشاؤون، يوغلون في ظلم عباد الله .

أما العلماء والعباد فكانوا صامتين في حالة رهيبة من الذل والخوف والفزع.

كل الفئات التي كان يمكن أن يؤمل فيها المجتمع لأن يكون لها موقف إيجابي أو تسعى للتغيير أو تعمل لإصلاح الواقع كلها صامتة جامدة.

والجميع غارق في الصمت، لا أحد يجرؤ على الاعتراض أو أن يكون له موقف

حالة الذل وحالة الخضوع والاستسلام هي الحالة المسيطرة على الأمة بكلها.

وكانت عرى الإسلام تنقض عروة عروة ومعالمه تطمس شيئاً فشيئاً،

ووصل الحال إلى درجة الإساءة إلى المقدسات وعلى رأسها القرآن الكريم ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أما لعن الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين فقد صارت سنة يجهر بها من على منابر الجمعة.

تحت وطأة واقع كهذا.. قائم على الإرهاب والقمع والتضليل والخضوع والاستسلام التام والعجز الواضح.. كانت نهضة الأمام زيد بن علي (عليه السلام).

وقد شخص الإمام زيد (عليه السلام) تلك الأحوال المتردية في دعاء لخَّص فيه ما تعيشه أمة جده من الظلم والقهر وضياع الحق، وتطلُّعه إلى تغيير هذا الواقع بقوله:

«اللَهُمَّ وقد شَمَلَنا زَيْغُ الفتنِ، واستولت علينا غَشْوَةُ الحَيْرَةِ، وقَارَعَنَا الذلُّ والصَّغَارُ، وحكم علينا غيرُ المأمونين على دِينِك، وابْتَزَّ أمورَنَا من نَقَّصَ حكمَك وسعى في إتلافِ عبادِك، وعَادَ فَيُّنا دُوْلَةً، وإمَامَتُنَا غَلَبَةً، وعَهْدُنَا مِيراثاً بين الفَسَقَةِ، واشْتُرِيَتِ الملاهي بسَهْم اليتيم والأرْمَلةِ، ورَتَعَ في مال اللّه من لا يَرْعَى له حُرْمَةً، وحكَم في أبْشَار المؤمنين أهلُ الذِّمةِ، وتولى القيامَ به

فاسـقُ كلِّ مَحَلَّةٍ، فلا ذائدٌ يذودهم عـن هَلَكَةٍ، ولا رادعٌ يردعهم عـن إرادتهم المَظْلِمَةِ، ولا رَاعٍ ينظـرُ إليهم بعَيْنِ الرَّحمْةِ، ولا ذو شـفقةٍ يشـفي ذاتَ الكبدِ الحَرَّاء من مَسْـغَبَةٍ، فهم هؤلاء صَرْعَى ضَيْعَةٍ، وأسرى مَسْكَنَةٍ، وحُلَفَاء كآبةٍ وذِلَّةٍ.

اللَهُمَّ وقد اسْتَحْصَدَ زرعُ الباطل وبلغ نهايَتَه، واستغلظ عَمُودُهُ وخَـرفَ وليدُه، واسـتجمع طريدُه، وضَـرَبَ بجرَانِـه. اللَهُمَّ فأتح له مِنَ الحَقِّ يداً حاصِدَةً تَصْرَعُ بها قائمَهُ، وتُهَشِّـمُ سُـوْقَهُ، وتَجُتُّ سَـنَامَه، وتَجْدَعُ مُرْغَمَه. اللَهُمَّ ولا تَـدَعْ لَهُ دعَامَةً إلا قَصَمْتَهَا، ولا جُنَّةً إلا هَتَكْتَهَا، ولا كلمةً مجتمعةً إلا فرقتَها، ولا سَـرِيَّةً تعلو إلا خَفَقْتَها، ولا قائمةَ عَلَم إلا خَفَضْتَهَا، ولا فائدةً إلا أبدتها.

اللَهُـمَّ وكَوِّرْ شَمْسَـه، وحُطّ نورَه، وادْمَغ بالحق رأسَـه، وفُضّ جُيُوشَهُ، وأذْعِرْ قُلُوبَ أهله.

اللَهُـمَّ لاتَدَعَـنَّ منه بقيـةً إلا أفنيـتَ، ولا نَبْوَةً إلا سَـوَّيْتَ، ولا حَلْقَـةً إلا أكلَلْـتَ، ولاحَدّاً إلا فَلَلْتَ، ولا كراعـاً إلا اجتحتَ، ولا حاملَ عَلَم إلا نكستَ. اللَهُمَّ وأرنا أنصاره بَعَائِدَ بَعْدَ الإلْفَةِ، وشَتَّى بعد اجتماعِ الكَلِمَةِ، ومُقْنِعِي الرؤوس بعد الظُّهور على الأمَّةِ.

اللَهُمَّ وأسْفِرْ عَنْ نَهَارِ العَدْلِ، وأرناهُ سَرْمَداً لا ليلَ فيهِ، وأهْطِل علينا نَاشِئَتَهُ، وأدِلْه ممنَ ناواه.

اللَهُـمَّ وأحيي به القلوبَ الميِّتةَ، واجمع بـه الأهواءَ المختلفةَ، وأقمْ به الحدودَ المُعَطَّلةَ، والأحكامَ المُهْمَلَةَ، واشبع به الخِمَاصَ السَّاغِبَةَ، وأرحْ به الأبدان اللاَّغِبَةَ من ذرية محمد نبيك صلى الله عليه وآله وسلم، وأشياعهم، وأنصارهم، ومحبيهم، وعَجِّل فَرَجَهُم وانْتِيَاشَهُم، بقدرتك ورحمتك يارب العالمين».

ومن مواعظه التي كان يتحدث فيها عن وضعية الأمة قوله:

«وقديماً اتخذت الجبابرة دين الله دغلا، وعباده خولا، وماله دُولا، فاستحلوا الخمر بالنبيذ، والمكس بالزكاة، والسحت بالهدية، يجبونها من سخط الله، وينفقونها في معاصي الله، ووجدوا على ذلك من خونة أهل العلم والتجار والزراع والصناع والمستأكلين بالدين أعواناً، فبتلك الأعوان خَطَبَتْ أئمة الجور على المنابر، وبتلك الأعوان قامت راية الفسق في العشاير، وبتلك الأعوان أخيف العالم فلا ينطق، ولا يتَّعظ لذلك الجاهل فيسأل، وبتلك الأعوان مشى المؤمن في طبقاتهم بالتَّقية والكتمان، فهو كاليتيم المفرد يستذله من لا يتق الله سبحانه».

تحت وطأة هذا الواقع المتردي كان صوت الإمام زيد هو الصوت الأقوى الذي كسر ذلك الواقع، وحطم تلك القيود التي كبلت الأمة وأذلتها؛ تحرك بحركة متميزة بمنهجية القرآن الكريم وبالثقة العالية بالله سبحانه وتعالى وهو القائل (عليه السلام) وقد تحدث إلى جابر الجعفي- أحد أصحابه-

يا جابر: **«لا يسعني أن أسكت وقد خولف كتاب الله وتحوكم إلى الجبت والطاغوت لا يسعني أن أسكت».**

وكان (عليه السلام) يقول:

«والله لو علمت عملاً هو أرضى لله تعالى من هذا الذي وضعت يدي فيه لفعلته ولأتيته، لكني والله لا أعلم عملا هو أرضى من قتال أهل الشام».

***

المبادئ التي تحرك على أساسها الإمام زيد (عليه السلام)

خاطب الإمام زيد الناس فقال:

«إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)» هذا منهاجه النظري».

أما مشروعه العملي التطبيقي فهو يتفرع عن هذا المنهاج، قال (عليه السلام):

«وإلى جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين وقَسْم الفيء بين أهله، ورد المظالم، ونصرنا أهل البيت على من نصَب لنا الحرب».

ثم استنهض العلماء والأمة فدعاها إلى: جهاد الظالمين لدفع ظلمهم بالجهاد، لإيقاف الظلمة عند حدِّهم، والدفع عن المستضعفين لكيلا يبقوا ضحيةً لطغيان الطغاة وهيمنة المجرمين، ودعا (عليه السلام) إلى:قَسْمِ الفيء – المال العام – بين أهله حتى لا تُحرم الأمة من ثرواتها العامة فيترتب على ذلك المساوئ.

يستنهض العلماء والأمة فيقول:

«فسارعوا عباد الله إلى الحق»

دعوةً إلى الحق، ويفترض بالأمة المسلمة أن تستجيب لدعوة كهذه من داعٍ كالإمام زيد، معروف بين أوساطها ؛ عند علمائها، وفضلائها، وذوي الرأي فيها،كلهم يشهدون له بالفضل والعلم، رجل عظيم موثوق ليس مغموراً ولا مجهولاً.

«فسارعوا عباد الله إلى الحق، فبالحق يُكبت عدوكم وتُمنع حريمكم وتَأمن ساحتكم» يتوفر لكم الأمن والمنعة على حرماتكم،

(وذلك أننا ننزع الجائرين عن الجنود) يعني: حتى لا يبقى الجيش تحت سلطة الجائرين الذين يستخدمونه للسطوة على الناس، لظلمهم، وقمعهم وقهرهم.

«ننزع الجائرين عن الجنود والخزائن» الخزائن: الثروة العامة، لا تبقى بأيديهم؛ لأن الخزائن العامة عندما تبقى بأيدي الجائرين الظالمين يختصون بها للترف في المعيشة ولتعزيز نفوذهم، ووسيلة يستقوون بها لتعزيز هيمنتهم وسيطرتهم.

«الخزائن والمدائن»

(المدائن) حتى لا يكونوا هم من يديرون شؤون الناس؛ عندما يكون من يدير شؤون الناس ظالماً مجرماً؛ فبظلمه وشره وطغيانه سيمارس ما يمارس في واقع حياتهم،

«والفيء والغنائم، ونثبّت الأمين المؤتمن»

اللائق بالمسؤولية، الإنسان الذي ليس مصدر خوف، في أن يظلم الأمة، أو يسرق الأمة، أو ينهب ثروات الأمة.

«ونثبت الأمين المؤتمن غير الراشي والمرتشي الناقض للعهد؛ فإن نظهر فهذا عهدنا وإن نُستشهد فقد نصحنا لربنا وأدينا الحق إليه من أنفسنا».

نكون قد قمنا بواجبنا..

«فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأي هذا يكره المؤمن وفي أي هذا يرهب المسلم»؟.

تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بالقرآن الكريم

قلنا - فيما سبق - إن الإمام زيد بن علي كان يعرف في المدينة المنورة بـ (حليف القرآن) دلالة على ملازمته للقرآن وتشربه لثقافة القرآن الكريم واستيعابه لها، يعمل بالقرآن ويتبع القرآن ويهتدي بهدي القرآن، ويتخلق بأخلاق القرآن.. فما ظنك برجل حاله هكذا ؟!

أيسعه الجلوس في بيته والسكوت عما يجري بالأمة، والقرآن معه أينما اتجه، يعيش مع القرآن ويعيش معه القرآن ؟!

لذا.. تحرك زيد من خلال القرآن الكريم، يواجه بالحق في هذا الكتاب الباطل والضلال، يواجه الأفكار المنحرفة المضللة التي باتت لكثير من طوائف الأمة فكراً وعقائد ومبادئ تعتمد عليها وتسير بها في ظلماتها، بدأ يواجه الضلال ويتحرك لإحياء الروحية الإيمانية الجهادية والاستشعار للمسؤولية في الأمة من جديد.

كان الإمام زيد (عليه السلام) علماً لكل الأمة

يشير السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في محاضرة له بمناسبة استشهاد الإمام زيد بن علي إلى أن الإمام زيد كان علماً لكل الأمة الإسلامية، كان علماً للمسلمين جميعاً: قائداً وهادياً لأمة جده (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كلها، لا للطائفة الزيدية.

كانت دعوته عامة وحركته عامة، فوجَّه نداءه إلى الأمة جمعاء ؛ فتحرك في أوساط أمة جده، حاملاً هم الأمة كلها، ساعياً لإنقاذ الأمة كل الأمة.

غضب زيد بن علي لله وصدع بالحق حين سكت الساكتون وصمت العاجزون وخضع اليائسون،

حين استسلم الأذلون تحرك بكل شموخ وبكل ثبات، بعزة الإيمان على خطى الأنبياء (عليهم السلام) لا يبالي بلوم اللائمين ولا بجبروت الظالمين ولا بطغيان الطاغين والمستبدين.

تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بدافع المسؤولية الإيمانية

و.. تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بدافع المسؤولية بوصفه مسلماً مؤمناً، يدرك أن انتماءه لهذا الدين، وأن تمسكه بكتاب ربه عز وجل، وأن اقتفاءه لأثر نبي الإسلام محمد تفرض عليه – حتماً – أن يتحرك، وألا يؤثر السلامة، وأن يصدع بكلمة الحق في وجه السلطان الجائر، ليُقيم الحق وليعمل على

إقامة العدل، هو يذكر ما قاله جَدُّه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين».

إحياء الإمام زيد (عليه السلام) لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مبدأ: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مبدأ خطير في الإسلام يترتب عليه إصلاح واقع الأمة من الداخل، وتطهير ساحتها الداخلية من هيمنة العابثين والمفسدين، والجائرين، والظالمين،، والطغاة.

إن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أهم مسؤوليات المؤمنين، قال الله تعالى:

﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ [التوبة:٧١] وقال الله في محكم كتابه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

هذا المبدأ إن غاب غاب العمل لتصحيح حال الأمة من داخلها، ومن ثم فلن تقوم لها قائمة أبداً..

ولكي يبقى للدين قيمته، ويبقى للأمة سلامة دينها وصلاح دنياها كان قيام الإمام زيد وهو نفسه يدرك ما قاله جَدُّه، فقد روى زيد عن جَدِّه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه قال:

«لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر أو ليسلطنَّ الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»،

النتيجة: نتيجة التفريط في هذه الفريضة المهمة، وهذا المبدأ الأساس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نتيجة وخيمة: أن يُسلّط الأشرار من داخل الأمة عليها، يتحكمون بها، ويعبثون بها، بفسادهم واستبدادهم وطغيانهم، فيسوء واقع الحياة، وحينها لا ينفع مجرّد الدعاء من الأخيار: (اللهمّ..اللهمّ)!

وإدراكاً منه(عليه السلام) لعظيم أثر العلماء في الأمة فقد وجه إليهم كتاباً (رسالة) شهيرة، قال(عليه السلام):

«واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أُقيمت له استقامت الفرائض بأسرها هينها وشديدها»

يعني: أن مبدأ له كل هذه الأهمية، إذا أُقيم أُقيم الدين كله، وإذا عُطِّل عُطِّل معظم الدين ولا يبقى من الدين غير شكليات لا أثر لها في الواقع، ولا نفع لها في الحياة،

«إذا أُقيمت له استقامت الفرائض بأسرها هيِّنها وشديدها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الدعاء إلى دين الإسلام والإخراج من الظلمة».

«ورَدُّ المظالم وقسمة الفيء والغنائم على منازلها».

فالمال العام وفق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقسم على مستحقيه كلهم دون أن يُستأثر به الظالمون، أو تستأثر به فئة معيَّنة،

«وأخذ الصدقات ووضعها في مواضعها. وإقامة الحدود»،

إقامة الحدود: ردعاً للمفسدين والمجرمين واللصوص وما إلى ذلك، «وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

قدم فقهاء السوء شكلاً مختلفاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حين قدموه في حدود ضيقة محدودة من العبادات ومن الجوانب الأخلاقية شريطة أن يكون على رؤوس المساكين وحدهم،

أما أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإطار العام، في المسؤولية العامة بوجه الظالمين الجائرين المفسدين،

أما أن يوجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى حاكم أو رئيس أو زعيم أو مسؤول فلا سبيل إليه!.

و من ثم فقد عطل هذا المبدأ العظيم بل صار مسألة من مسائل التودد للظالمين وفي ظلهم، (هيئة أمر بمعروف ونهي عن منكر) بإذن الظالمين.

لقد قدم الإمام زيد(عليه السلام) مبدأ: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بمفهومه العام والشامل، الأمر بالمعروف بكل ما هو معروف، بكل ما فيه ضرورة للأمة لأن تهتدي به، أن تتحلَّى به، أن تسلكه، أن تعمل به مما فيه صلاح دينها ودنياها.

هذا المبدأ..دائرة واسعة تشمل كل ما فيه صلاح دينها ودنياها، وليس فقط بالحالة الشكلية التي تُركز على هامش صغير من العبادات والأخلاق تستهدف بسطاء الناس لا كبراءها..

الإمام زيد (عليه السلام) يخاطب علماء السوء

كان الإمام زيد (عليه السلام) يدرك مشكلة الأمة الكبيرة، الأمة التي كان من المفترض أن ينهض علماء الدين بمسؤوليتهم ويكون لهم دورٌ أساسيٌّ إيجابيٌّ في تعريف الأمة بمسؤوليتها، وفي هداية الأمة لسبيل ربِّها، وفي تحريك الأمة لإقامة الحق والعدل في واقعها؛ لكنه رأى أن الكثير من العلماء- لا كلهم- صاروا علماء سوء، لهم إسهام سيء في تدجين الأمة للظالمين، فيقول(عليه السلام):

«يا علماء السوء؛ أنتم أعظم الخلق مصيبة وأشدهم عقوبة إن كنتم تعقلون».

لماذا؟ لأن جُرم علماء السوء فضيع بقدر ما أسهموا وأضلُّوا في تدجين الأمة للظالمين وأضلُّوا الناس وحرفوا مفاهيم الحق، فهؤلاء العلماء هم أعظم الخلق مصيبة وأشدهم عقوبة.

«ذلك بأن الله قد احتج عليكم بما استحفظكم؛ إذ جعل الأمور ترد إليكم وتصدر عنكم، الأحكام من قبلكم تلتمس، والسنن من جهتكم تُختبر يقول المتبعون لكم: أنتم حجتنا بيننا وبين ربُّنا».

لأن الكثير من عامة الناس يثقون بالعلماء، يطمئنون إليهم، ويأمنونهم يعدونهم حجتهم فيما بينهم وبين الله، وأية فتوى وأية تعبئة باسم الدين تؤثر في الناس كثيراً.

لقد تحرك في الأمة بكل هذا المخزون العظيم من القيم والأخلاق،

وتحرك مستنهضاً للأمة بعد أن وجَّه رسالته الشهيرة إلى علماء الأمة ليقوموا بواجبهم، وليؤدوا دورهم في استنهاض الأمة وفي العمل على تغيير واقعها، وقد رأى الأثر السيء جداً الذي تركه علماء السوء، علماء البلاط الذين يقفون إلى جنب سلاطين الجور يعينونهم ويُدجِّنون لهم الأمة ويُجمِّدون الأمة لتُذعن لهم فنادى أولئك العلماء في رسالته الشهيرة قائلا:

«يا علماء السوء؛ أنتم أعظم الخلق مصيبة وأشدهم عقوبة إن كنتم تعقلون ذلك بأن الله قد احتج عليكم بما استحفظكم؛ إذ جعل الأمور ترد إليكم وتصدر عنكم، الأحكام من قِبَلِكُم تُلتمس والسُّنن من جِهَتِكُم تُختبَر، يقول المتبعون لكم: أنتم حجتنا بيننا وبين ربِّنا. فبأي منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلة ؟ فوالذي نفس زيد بن علي بيده؛ لو بيَّنتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون لتضعضع بنيان الجبارين ولتهدم أساس الظالمين؛ ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمنًا قليلاً وأدهنتم في دينه وفارقتم كتابه».

ثم يُوجِّه نداءه إلى الأمة قائلاً:

«عباد الله؛ فأعينونا على من استعبد أُمتنا وأخرب أمانتنا وعطل كتابنا».

***

خروجه (عليه السلام)

على ضوء هذه المبادئ وبدافع تلك المسؤولية خرج الإمام زيد بن علي ثائراً على الطغاة، كان - (عليه السلام) - قد واعد أصحابه والمستجيبين له من المسلمين أن يكون فجر الثورة في غرة شهر صفر، غير أن عيون بني أمية كانت قد اكتشفت خطة الإمام زيد(عليه السلام)، وأدرك بنو أُميَّة أنه بالكوفة وأن ظهوره قريب فجدوا في البحث عنه وكانوا قريبين من اكتشاف مكانه، فاضطر إلى تعجيل الخروج، قبل الموعد المُتفق عليه مع أنصاره، فخرج في الكوفة في الثاني والعشرين من شهر محرّم ليلة الأربعاء، ونادى بشعاره المعروف:

(يا منصور أمت).

وهو شعار جَدِّه رسول الله(صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في غزوة بَدْر.

في صبيحة يوم الأربعاء كان قد وافاه مئتان وثمانية عشر رجلاً لا غير ؟!

مئتان وثمانية عشر !! من خمسة عشر ألف رجل كانوا قد بايعوا في الكوفة وحدها ؟!

أدرك الإمام زيد(عليه السلام) حالة التخاذل الكبيرة في واقع الأمة !!، قلة الأنصار، وشح المادة !!

التفت الإمام زيد إلى صاحبه نصر بن خزيمة وقال:

«يا نصر؛ أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية» !!

أفعل أهل الكوفة معي ما فعلوه مع جدي الحسين؟!

قال نصر: (جُعِلتُ فداك أما أنا فو الله لأضربن بسيفي بين يديك حتى أموت).

و.. بتلك الفئة القليلة من المؤمنين واجه زيد اثني عشر ألف مقاتل من الجيش الأموي، وهزمهم من سكة إلى سكة، ومن شارع إلى شارع، وتقدَّم ليدخل إلى داخل الكوفة فقتل في اليوم الأول أكثر من ألفي قتيل، وتقدَّم زيد وهو يقاتل بمن معه حتى تمكن من الوصول إلى مسجد الكُوفة حيث كان جنود بني أمية قد جمعوا فيه أهل الكوفة، وأغلقوا عليهم الأبواب.

حينما وصل الإمام زيد(عليه السلام) إلى مسجد الكوفة قام صاحبه نصر بن خزيمة وجعل ينادي المحصورين في المسجد وهو يفتح لهم الأبواب ويقول لهم:

«أخرجوا يا أهل الكُوفة، أخرجوا من الذلّ إلى العزّ، أخرجوا إلى خير الدنيا والآخرة فإنكم لستم في واحدٍ منهما» يعني: لا أنتم في خير الدينا ولا أنتم في خير الآخرة، أخرجوا، تحرروا، فُتحت لهم الأبواب فلم يخرجوا، كان أهل الكوفة غير راغبين في الجهاد ويبحثون عن الأعذار.

لقد رغبوا في أن يحبسوا أنفسهم حتى بعدما فُتِّحت لهم الأبواب.

مضى الإمام زيد(عليه السلام) يقاتل جنود الظالمين غير مبال بتخاذل أهل الكوفة وكان - (عليه السلام) - حين خفقت الراية فوق رأسه قد قال

متوجهاً إلى الله العظيم: «اللهم لك خرجت، وإياك أردت، ورضوانك طلبت، ولعدوك نصبت، فانتصر لنفسك ولدينك ولكتابك ولنبيك ولأهل بيت نبيك ولأوليائك من المؤمنين، اللهم هذا الجُهد مني وأنت المُستعان».

ثم قال(عليه السلام):

«الحمد لله الذي أكمل لي ديني».

هكذا كان زيد، وهكذا هو نور القرآن، بصيرة الحق، مبادئ الإسلام،

«الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت جَدِّي محمداً يوم القيامة ولم آمر في أمته بمعروف ولمن أَنْه عن منكر، والله ما أُبالي إذا أَقمت كتاب الله وسنة نبيِّه أنه تُؤجَّج لي نارٌ ثم قذفت نفسي فيها ثم صرت إلى رحمة الله».

استمرت المعركة في يوم الأربعاء ثم في يوم الخميس بكل استبسالٍ وتفانٍ مع قلَّة الناصر، وقلَّة العدّة، وفي آخر نهار الخميس -وفق بعض الروايات- أصيب الإمام زيد(عليه السلام) بسهم في جبينه، وفور إصابته قال:

«الشهادة.. الشهادة.. الحمد لله الذي رزقنيها !!».

وصية الإمام زيد لولده يحيى (عليهما السلام)

ثم إن الإمام زيداً أوصى بوصية أفرغها في دماء ولده الأكبر يحيى، إذ جاء أباه فأكب عليه، وبكى بكاءً مراً، ثم مسح الدم عن وجه أبيه وقال:

«أبشر يا ابن رسول الله، ترد على رسول الله، وعلي وفاطمة

وخديجة والحسن والحسين، وهم عنك راضون».

فقال الإمام زيد:

«صدقت يا بني، فأي شيء تريد أن تصنع؟»

قال يحيى:

«أجاهدهم إلا أن لا أجد الناصر».

قال زيد: «نعم يا بني، جاهدهم، فو الله إنك لعلى حق، وإنهم لعلى باطل، وإن قتلاك في الجنة، وقتلاهم في النار».

ثم إن الطبيب انتزع السهم من جبين زيد - (عليه السلام) - وما إن أنتزعه حتى فاضت روحه الطاهرة في الخامس والعشرين من شهر محرم من سنة ١٢٢ هـ.

.. فلقي الله مجاهداً للمستكبرين..مناصراً للمستضعفين..أبياً للضيم.. شهيداً في سبيل رب العالمين بعد أن ضرب للأمة أبلغ مثال الدروس من الواقع العملي من موقع القدوة والأسوة.

.. بعد استشهاد الإمام زيد (عليه السلام) دُفِنَ جُثمانه الطاهر خفية خشية أن يعثر عليه بنو أمية فيمثلوا به، غير أن أعداء الله عرفوا بمكان دفنه فعمدوا إليه واستخرجوا جسده الطاهر ثم قطعوا رأسه الشريف ليطاف به في البلدان، أما جسده الشريف فقد صلب في كناسة[1] الكوفة منزوعاً عنه الثياب.

وتلك كانت أفعال بني أمية مع زيد بن علي ومن قبله جده الحسين بن علي لا حظ لهم من دين أو مرؤة !!

---

(١) الكناسة موضع القمامة !!

وخلال صلبه ظهرت آيات كثيرة منها: أنه لم ير له أحد عورة، فقد استرسل جلد من بطنه من قدامه ومن خلفه حتى ستر عورته.

بقي زيد - (عليه السلام) - مصلوباً لأربع سنوات. بعدها أحرقوا الجسد بالنار، ثم سحقوه، ثم ذروا جزءًا منه في نهر الفرات !!

كان يغيظ بني أمية ومنافقيهم أن يروا أثر زيد في الأمة باقياً مستمراً حتى وقد قتلوه .. حتى وقد فصلوا رأسه عن جسده.. حتى وقد أرسلوا رأسه ليطاف به في البلدان.. حتى وقد أحرقوا جسده وذروه في الفرات !!

أرادوا أن يضعوه فرفعه الله .. أرادوا أن يمحوا أثره فأحيا الله ذكره وأحياه من نهج منهاجه !!

بقي الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) في أوساط الأُمَّة منهجاً،

بقي ثورة..

بقي موقفاً..

بقي درساً كبيراً للأُمَّة..

بقي في الوجدان مشاعرَ حُبٍّ وإعزاز..

بقي في التراث عَلَماً ومعرفة وهداية..

وبقي موقفاً يذكر وموقفاً يعتبر وموقفاً يؤثر في إحياء الأُمَّة وتحريك الأُمَّة واستنهاض الأُمَّة.

فصلوات الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً بين يدي الله مع آبائه وأجداده الكرام.

***

من وحي ثورة الإمام زيد بن علي (عليه السلام)

لماذا نحيي هذه الذكرى؟[١].

كان قيام الإمام زيد وثورته امتداداً لقيام وثورة جَدِّه الإمام الحسين (عليه السلام)، امتداداً كلياً، في الجوهر والروح والهدف،

امتداداً في الموقف، والتوجه،

امتداداً في طبيعة الظروف والدوافع.

هي امتدادٌ لحركة الإسْـلَام، في حقيقته ومبادئه وقيمه وأَخْلَاقه،

امتدادٌ لحركة الإيمان بالاستجابة لله سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَـى.

ونحن حينما نُحيي هذه الذكرى نحييها لغايات:

ـ لكونهـا حادثةٍ تاريخية مهمة لهـا تأثيرُها الكبير، الذي امتد في الأُمَّـة جيـلاً بعد جيـل إلَـى وقتنا الحاضر، فـما حاضرُ الأمة اليوم بـكل ما فيه إلا امتداد لذلك الماضي.

لتلـك الحادثـة أهميتها في كُلّ شـيء، فـي مضمونها، في أسـبابها، في مسـتوياتها، فـي أهدافها، في تأثيرها، فيها من العِبَـر والدروس التي نحتاج إليها اليوم.

ـ نُحييها بوصفها ذكرى لعَلَمٍ عظيمٍ من أعلام الهدى، ورموز الإسْـلَام،

---

(١) من خطاب السـيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في ذكرى استشـهاد الإمام زيد (عليه السـلام) عام ١٤٣٠ هجرية (بتصرف).

رجلٍ عظيمٍ حمل رايةَ الإسْـلَام فـي الأُمَّـة، ورفع صـوت الحق في زمن السـكوت، وتحَـرّك فـي أوسـاط الأُمَّـة كُلّ الأُمَّـة؛ بهـدف إنقاذها من الضلال والقهر والطغيان.

فهـو (عليـه السـلام) بوصفه رمـزاً من رموز الإسْـلَام، وعَلَـماً من أعلام الهُـدىٰ، كان فـي موقع القـدوة والأسـوة نتطلع إليـه، في سـيرته، وأقواله وعلومه ومواقفه وجهاده.

نتطلـع إلَـىٰ كُلِّ ما قدمه للأُمَّـة، وما قدمه إنما قدمه من خلال ما اهتدىٰ به وما التزم به وما تحلّىٰ به من مبادئ الإسْـلَام وقيمه وأَخْلَاقه وتعاليمه.

فهو رمزٌ إسْـلَامي نرتبطُ به في الدين قدوةً وعَلَمَ هدىٰ، وهو أيضاً رمزٌ للأُمَّـة فيما قدمه للأُمَّـة.

ـ لقـد جرىٰ في العُـرف الإنسـاني أن تحتفلَّ الشـعوبُ والأمم بذكرىٰ أمجادهـا وعظمائها، الذين أسـهموا فـي أُمَمِهم بما قدموه لها علىٰ مسـتوىٰ الدفـاع عنهـا والنهضة بها، الإصـلاح في واقعها، وأن تجعـل منهم القدوة التـي ينجذب إليهـا الجميع ويقتدي بهـا الجميع فيكـون للذكرىٰ ولذلك الارتبـاط الوجدانـي والنفسـي والثقافي أَثَـرُه الكبيرُ في حيـاة الأمم، وفي نهضتها وتحملها للمسؤولية.

الإمـامُ زيدٌ (عليه السـلام) قدّم للأُمَّـة الكثير.. الكثيـر، ومَن يقرأ التأريخ يعرف ذلك.

وعلىٰ كُلٍّ..

فإننا عندما نُحيي هذه الذكرى نحييها من واقع نحن في أمسِّ الحاجة فيه إلَى الاستفادة من الإمامِ زيدٍ (عليه السلام)،

من الاستفادة من أعلام الهُدَى ومن رموز الإسْلَام،

إلَى الاستفادة من حركة التأريخ بكله، في ما يزيدُنا وعياً ويزيدنا بصيرة ويزيدنا همة ويزيدنا فهماً للمسئولية وفهماً لما علينا أن نقدم ويزيدنا عزماً وصبراً وثباتاً في مواقفنا.

ما الذي جعل الإمام زيداً (عليه السلام) ينهض؟

ما الذي حرّك الإمام زيداً (عليه السلام) ؟ ما الذي دفعه؟، ما الذي جعله ينهض في ظروف صعبة ؟ ما الذي جعله يضحي تلك التضحية؟

مَن يرجعْ إلَى التأريخ ويستقرئ الظروف التي تحَرّك فيها الإمامُ زيدٌ، يعرفْ جيداً أن تلك إنما كانت هي حركة الإسْلَام وحركة القرآن وحركة النهج المحمدي الأصيل؛ قام بها وجسّدها وأحياها الإمامُ الشهيدُ زيدٌ (عليه السلام).

لقد عانت الأُمَّةُ من التسلُّط الأموي -الذي استفاد من موقعه في السلطة وكان وصولُه كارثةً كبيرةً على الأُمَّة- في كُلّ شيء في دينها ودنياها؛ حاضرها -آنذاك- ومستقبلها الممتد عبر التأريخ وعبر الأجيال.

كان التسلُّطُ الأموي يشكِّلُ خطورةً كبيرةً جداً على الأُمَّة؛ لأنه يتناقَضُ في أهدافه، وسلوكه، وممارساته، مع كُلّ مبادئها،

يتناقض مع مشروعها الأساس الذي كان من المفترَضِ أن تُبنى عليه في واقعها بكله،

في شأنها السياسي: في نظام أمرها، في السلطة، في الحكم، وفي شأنها الاجتماعي،و في واقعها الأَخْلَاقي، وفي دورها الحضاري، في كُلِّ ما يتصل بها،

إن هذه الأُمَّة هي أمة الإسْلَام، هي أمة القرآن، هي أمة محمد..

ومن المفترض بل من الطبيعي في حقها أن يُبنى واقعُها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وأن يحدّدَ دورها حضارياً طبقاً لذلك، طبقاً للمبادئ، طبقاً للقيم التي أتى بها هذا الإسْلَام، التي تضمنها القرآن،و بلغها محمد، وسعى لإحيائها (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وهي المبادئ السامية، التي أرادها اللهُ لعباده، المتطابقةُ مع الفطرة الإنسانية، ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[الروم:٣٠].

للإسْلَام مشروع سمو، مشروع أَخْلَاق، مشروع كرامة، مشروع عدالة، لكن لم يبقِ الأمويون في الأُمَّة كرامة، ولا عزة، ولا سمواً،

وكان أداؤهم وممارساتهم الظالمة على النقيض من الإسْلَام ولم يبقوا منه سوى شكليات علموا أنها لا تؤثرُ عليهم فصارت ضمن وسائلهم وأدواتهم التي يستغلونها في التحكم بالأمة والسيطرة عليها.

إن مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) في التأريخ لم تكن أبداً لشأنٍ يخُصُّهم، ولا لأمرٍ لا يتجاوزهم؛ إنما كانت مظلومية الأُمَّة بكلها،

لـم يكـن لهم ولا لأنصارهم، ولا لَمن تحَـرّك معهم في أوسـاط الأُمَّـة، أيُّ شأن خاص أَوْ أطماع شخصية، أَوْ نَزَعَات لاعتبارات محدودة، كلا..

لقد استهدف التسلط الأموي الأُمَّـةَ كلها منذُ بدايته، واستهدفها في المبادئ؛ لأنه كان يرى أنه لا يسـتطيع أن يتحكمَ بالأمةإلا بعد أن يهدمَ فيهـا المبادئ وأن يسـلب منها القيـمَ والأَخْلَاق وأن يزيـف فيها الوعي وأن يُخرِجَهَا من النور الذي أتى به رسولُ الله محمدٌ، وقدمه من خلال كتـاب الله الكريـم، إلَـى الظلـمات المتراكمة ظلـمات التضليل وظلمات الإفساد.

الرسولُ كان قد قدّم إنذاراً مبكراً بخطورة هذا التسلط الأموي

رأى الرسـولُ (صلـى الله عليه وعلى آله وسـلم) فـي منامه يومـاً أن بني أمية ينـزون[1] على منبره الشـريف نَـزْوَ القردة، فأزعجه ذلك جـداً، وعرَفَ بما عرّفه اللهُ، بوحي الله سُـبْحَـانَهُ وَتَعَالَـى، أنهم سـيتمكنون يوماً من الوصول إلَـى التحكم بمقاليـد أمر الأُمَّـة، ومن ثم سـتكون ممارسـاتهم في الأُمَّـة شـيطانية نفاقية شـاذةً عن النهج الإسْـلَامي وعن الفطرة الإنسـانية؛ لأنها ستقوم على الظلم والتسلط والاستهتار واللامبالاة.

(١) النزو: القفز أ الطمر أ ولا يقال إلا للشاء والدواب والبقر في معنى السفاد.

وقال عنهم وهو يصف الحالة التي إن وصلوا إليها ماذا سيعملون: «اتخذوا دينَ الله دَغَلا، وعبادَه خَوَلا، ومالَهُ دُوَلا».

كلماتٌ جامعة.. معَبِّرةٌ.. مهمة، تستحق التأمل، والترديد، والتذكار، من تأملها يدرك من خلالها الخطورة الرهيبة، والقصوى لذلك الدور الهدام جداً، إلَى أسوأ ما يمكن أن نتصور، دينُ الله الذي هو نور يُخرِجُ الناسَ من الظلمات الذي هو بصائر الذي هو وعيٌ، الذي هو السمو للإنسان، الذي هو السبيلُ لترشيد هذا الإنسان ليكونَ إنساناً راشداً، واعياً، فاهماً، تصوُّراته مفاهيمه، أفكاره نقية سليمة، لا تشوبها الخرافة، ولا تشوبُها الأباطيل، ولا يشوبها الظلام والضلال.

دينُ الله الذي هو زكاءٌ لنفسية الإنسان، وتطهيرٌ لها، فيحمل كُلَّ مشاعر الخير، وكل الإحساس الإنساني، وكل الوجدان الخيري، حتى يتأصَّلَ في تفكيره وفي وجدانه وفي نفسيته الخيرُ كُلّ الخير، دينُ الله، بتعاليمه وبمنهجه الرامي إلَى إحقاق الحق وإقامة العدل في الحياة، والسمو بهذا الإنسان لاستنقاذه من الضياع في هذه الحياة، لا يضيع كالحيوانات والأنعام بلا هدفٍ سامٍ، بلا مشروعٍ عظيم ومقدَّس يليق بهذا الإنسان، يليق بالكرامة التي كرّمه الله بها، يليق بالدور الذي أراده اللهُ له.

يتخذونه دَغَلا، كيف؟

إنه من خلال التزييفِ والتحريف، الذي يعمدُ إلَى تقديم قوالبَ جديدةٍ باسم الدين نفسه، محسوبة على الإسْلَام نفسه، قوالب وتصورات مفاهيم

جديدة مختلفة، تخدمُهم، وتمكّن لهم، وتهيئُ لهم الظروف الملائمة لفعل ما يشاؤون ويريدون.

لقد صنعوا في الإسْــلَام إسْــلَاماً من نوعٍ آخر، مفاهيم كثيرة، حسبت على الإسْــلَام، وليست منه، عمدوا إلَـى لبس الحق بالباطل تماماً كما فعل بنو إسرائيل،

وثبتـوا ضمن العقائد والمفاهيم الثقافية والفكرية والتصورات والمبادئ والسلوك والأعمال والتعاليم العملية، ضمّنوها الكثيرَ والكثير مما كُتب ومما خطـب به على المنابر، ومما لقنـت بها الأجيال، داخل الكتاتيب والمدارس، والمسـاجد، فاستهدفوا المضمون الديني في تعاليمه، في منهجه، في مبادئه، فحرّفوا وزيّفوا، وبدلوا، حتى قولبوا شـكلاً للإسْــلَام شـيّد فيه الكثير من الباطل وبقي فيه القليل من الحق، واختلط به الكثير من الظلام، وتضاءلت نِسَبُة الحق في ذلك الظلام، حتى صارت في مراحلَ كثيرةً من التأريخ على نحو ضعيف لا يكاد يُرى إلا أنه بصيص من النور من نوافذَ محدودةٍ.

وكان لهـذا تأثيـرٌ كبيرٌ في مسـتقبل الأُمَّـة، ومواقفهـا؛ ولذلك وصلوا إلَـى درجة التعطيل الفعلي للمشـروع الإسْــلَامي فـي الحياة، فعطّلوه من أثره العظيم والسـامي في الإنسـان، فرأينا كيف صنعوا في الإنسـان، الذي تأثـر بهـم، والتف حولهم، وآمن بهـم ونهج نهجهم..صار إنسـاناً ظلامياً، مفسـداً ومتكبراً، ومتوحشـاً خالياً من كُلّ المشـاعر الإنسـانية، مستعداً لأن يعملَ من أجلهم أي شيء

وبذلك استطاعوا أن يفعلوا أشياءَ كثيرةً ما كانت لتُفعَلَ في بيئة إسْـلَامية بقيت سليمة، لكن كانوا قد شابوا هذه البيئة الإسْـلَامية وأَوْبَأُوْهَا بما لديهم مـن ضلال وفسـاد ونشـاط تخريبـي، تخريب للقيـم وتخريـب للمبادئ، تخريب على المستوى الثقافي، تخريب على المستوى النفسي، في تدنيس النفوس بدلاً عن تزكيتها.

فاسـتطاعوا أن يحرّكوا الجيوش المكونة من الآلاف من المنتسـبين لهذا الديـن، من الذين يصلون ويصومون، بل يتلوا بعضهم القرآن،، ليفعلوا ما لا يمكنُ أن نتصور أن يفعله المتوحشون من بني الإنسان، مَن انسلخوا عن الفطرة الإنسانية،

فـما ظنك بالدين؟!، مـا ظنك بالقيم؟!، ما ظنك بتعاليم السـماء وبوحي الله وتعاليم الرسل والأنبياء؟!.

استقرئوا بعضاً مما حدث في التأريخ على أيديهم،

كيف استهتروا بالإسْـلَام جُملةً وتفصيلا،

كيف اسـتهانوا في هذا الإسْـلَام بكل شيء.. بالإنسان، ثم بالمقدّسات، حتى بالرسـول ورسـالته.. كان قائلُهم من كرسي السـلطة وهو يتربَّعُ على موقع المسؤولية، فيأتي ليقول:

لَعِبَتْ هَاشِمُ بالمُلْكِ فَلَا خَبَرٌ جاء ولا وَحْـيٌ نَزَل

و يأتي الآخرُ منهم في الوقت الذي يقدِّمُ نفسَـه خليفةً للمسلمين ليقولَ مما يعتبرُه كرسي الخلافة وكرسي المسؤولية وكرسي السلطة:

تلعَّب بالبرية هــاشميٌّ بلا وحي أتاه ولا كتاب

هكذا إنكار بالكامل للرسالة الإسْـلَامية !!

يأتـي الخطيبُ مـن وُلاتهم في مكة لينادِيَ في أوسـاط الحجاج فيقول لهم: أيها الناس إن خليفتَكم أفضلُ من رسـولكم، إن خليفةَ الله أفضلُ من رسول الله !!

وتذهب جيوشُهم إلَـى مكّة المكرمة فتستبيحها،

روى لنا التاريخ كيف استهدفت جيوش بني أمية الكعبة المشرّفة بنفسها، يرمونها بالمنجنيق، يحرقونها مرة، ويهدمونها تارة أخرى !!

اليـوم أليس من أكثـر ما يمكن أن نتخوفه على مقدسـاتنا أن تسـتهدف الكعبة؟

أليـس أقسـى مـا يمكـن أن نتوقعَـه، أن يسـتهدف الإسـرائيليون أو الأمريكيون الكعبة المشرفة ؟!

وروى لنا التاريخ كيف استهدفت جيوش بني أمية المدينة المنورة، مدينة رسول الله صلواتُ الله عليه وعلى آله، في واقعة الحرة: يقتلون أبناء المدينة مـن المهاجرين والأنصـار وذراريهـم وينتهكون أعراضهـم، لا احترام، لا للمدينة ولا لمسـجد رسول الله ولا لسُكانها من المهاجرين والأنصار، قتلوا الكثيـر من أصحاب رسـول الله صلـواتُ الله عليه وعلى آلـه، حتى أنه بعد وقعة الحَــرَّة هذه قال المؤرخون:

لـم يبـق بدري بعدهـا، يعنـي أن كُلَّ الذين كانـوا باقين فـي ذلك الزمن وامتـدت بهم الحيـاةُ إلَـى تلك الواقعة ممن شـهدوا غزوة بدر مع رسـولِ الله محمدٍ (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قد قتلوا، الواقعة بدر.. تلك الواقعة الشهيرة التي كانت أول وأهم واقعة، ومثّلت ضربةً كبيرةً لأعداء الإسْـلَام، بسـببها كان يحمـل بنـو أميـة نزعةَ الثـأر للانتقام مـما حدث فيهـا، الانتقام للمشـركين والكافرين المعتدين الذين حاربوا رسولَ الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

لقد كان الأمويون يحملون نزعةَ الثأر والانتقام من رسول الله ومن أهل بيتـه، ومـن أنصاره، من أصحابه مـن المهاجرين والأنصـار، كانوا يحملون نزعة الحقد والثأر.

هكذا كانوا بهذه النفسـية بهـذا الحقد بهذا العداء، فلـما واتتهم الفرص اسـتباحة للمدينة وقتلاً لأهلها واغتصاباً لنسائها ونهباً لممتلكاتهم حتى من هرب منهم يلوذ بقبر رسـول الله لحق بهـم جنود بني أمية وفتكوا بهم على قبر الرسول حتى أغرقوه بالدماء

لقـد حكى التأريخ أن البعضَ منهـم كان ينتزع الطفل الرضيع من صدر أمِّـه تحضنُه فيأخذه برجليـه ثم يضربُ به عرض الحائـط فينثر دماغَه إلَـى الأرض،

انظروا أية وحشية هذه،

هذا هو النموذج الذي صنعه بنو أميّة

هذه الصنيعةُ التي صنعها بنو أمية في الأُمَّة امتدت عبرَ الأجيال وعلى الدوام وفي كُلّ مراحل الأُمَّة، كان هذا النوع موجوداً ومحسوباً على الإسْلَام، بل يدّعي أنه هو وحدَه الإسْلَام، أنه الذي يمثّلُ الإسْلَام، ثم ينبز بقية أبناء الأمة بالكثير من الأنباز والألقاب السيئة التي يستبيحُ بها دماءَهم وأعراضهَم وحياتهم.

بلغ التسلط الأموي في زمن الإمام زيد (عليه السلام) حَدًّا عجيبا جداً، وقد عرفنا في مقدمة ما فعله بنو أمية، ومع كُلّ هذا ما فعلوه بعِترة رسول الله بأهل بيته، الذين نادى في أوساط الأُمَّة يقول لنا عنهم:

«إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، إن اللطيفَ الخبيرَ نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوضَ، ثم يقول: أُذَكِّرُكُمُ اللهُ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهُ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهُ في أهلِ بيتي».. ثلاثاً.

هذا يرويه الجميع، هذا واردٌ في تراث الأُمَّة، ليس محسوباً على فرقةٍ بعينها، واردٌ في تراث الأُمَّة، معترَفٌ به في تراث الأُمَّة، بل إن البخاري يروي في مجموعه وهو من أئمة الحديث، للتيار الآخر أن أبا بكر قال:

(أُرْقُبوا محمداً في أهل بيته، ارقبوا محمداً في أهل بيته).

على كُلٍّ..

ما فعلوه بعترة رسول الله بالإمام الحسين (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله، امتداده في حمْلِ النور والهدى والحق، في أوساط

الأُمَّـة، حمل الإسْـلَام بمشروعه كاملاً في أوسـاط الأُمَّـة «حسينٌ مني وأنا من حسـين» وما فعلوه بأسرته الكريمة، بأهل بيته، بأنصاره الخُلَّصِ الذين كانوا إلَـى جانبه قلة قليلة وفية وعزيزة ومؤمنة وصابرة.

ثـم الفظائـع الكثيـرة التي سـجّلها التأريـخُ وأصبحت محتـوى للكثير والكثير من مجلدات الكُتُب، كلها صفحات سوداء سطّرها أولئك، إجراماً، بغياً، تضليلاً، فسـاداً بكل أشـكاله، إلَـى زمن الإمام زيد (عليه السلام)، بعد صولات وجولات في الأُمَّـة، كانت السلطة الأموية قد استحكمت قبضتُها من جديد بعد أن تعرضت لاهتزازاتٍ كبيرةٍ بعد ثورة الإمام الحسـين (عليه السـلام) واستشـهاده، لكن من جديد كانـت قد اسـتحكمت قبضتُهم على الأُمَّـة ووصلوا إلَـى الذروة في تمكُّنهم وتغلبهم.

وفي زمن هِشام بن عبد الملك الحاكم الأموي يأتي ليقول:

واللهِ لا يقولَ لي أحدٌ اتقِ اللهَ إلا ضربت عُنَقَه.

هـذا هـو النموذج الأموي، له هـذه الرؤية والتفكيـر، فكيف تتخيل أن تكون نفسيته ؟

اللهُ يأمر عباده بكلهم بتقواه حتى أنبياءه في القرآن يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾ [الأحزاب:١]

ويوجه خطابه إلَـى المؤمنين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢].

وأكثر ما ورد الأمر في القرآن الكريم بالتقوى والتوجيه بالتقوى للمؤمنين أصلاً، للمسلمين أصلاً.

أما هذا فلديه التوجه الطغياني:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦].

يأتي ليقول: (لا يقول لي أحد اتق الله إلا ضربت عنقه).

إنسان من هذا النوع كيف سيكون منهجه في الحكم، وكيف ستكون نظرته للأُمَّة إلا ما قال عنه الرسول «اتخذوا دينَ الله دغلا، وعباده خولا» لا يرى فيهم إلا العبيد.

طغى هشام وزاد طغيانه، فلم يجد الإمامُ زيدٌ بداً من أن يتصدى لهذا الباغي.

تحَرّك حفيدُ الحسين (عليه السلام) وكان تحركه امتداداً لثورة جده، لمنهجه، لمبدئه، للدافع الإيماني ذاته،

تحَرَّكَ (عليه السلام) وكانت حركتُه إنما تعبر عن مبادئ الإسْلَام، لم تكن نظرة شخصية أَوْ موقفاً شخصياً لاعتباراتٍ شخصية نهائياً، إنما كانت ترجمة عملية لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم، ولذلك كان يقول:

«واللهِ ما يدعُني كتابُ الله أن أسكُتَ» «كيف أسكت وقد خُولف كتابُ الله».

ثورة الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) ثورة مشروعة

و أضحت حركت الإمام زيد وثورته منهجاً ومشـروعاً كبيراً امتدت في أوساط الأُمَّـة، ليس مقامه فقط في مقام محاضرة، أَوْ في حديث في كلمة، ولكن يمكن أن نأخُذَ جانباً واحداً من جانب حركته (عليه السلام).

حرص الإمامُ زيدٌ (عليه السـلام) على إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ إسْـلَامِيٌّ مهم وفريضة إسْـلَامية عظيمة ومهمة، من أعظم فرائض الله سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَـى، كما قال عنها الإمام علي (عليه السلام): (بها تقام الفرائض).

و هذا المبدأ مسؤولية إيمانية ودينية فرضها الله على عباده.

قال الله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[آل عمران:١٠٤].

و قال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[آل عمران:١١٠].

و قال تعالى في آية مهمة توضح لنا مقدارُ أهمية هذه الفريضة كمسؤولية مهمة في دين الله:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[التوبة:٧١].

وأتت هذه الآية في موقع مُهِمٍّ في سورة التوبة في سياق المقارنة والفرز داخل المجتمع الإسْلَامي بين خط الإيمان وخط النفاق؛ فتحدث عن المؤمنين والمؤمنات باعتباره من مسؤولياتهم الإيمانية، التي هي بحُكم إيمانهم، التي هي ترجمة لإيمانهم، ترجمة عملية لإيمانهم، التي هي محك للمصداقية في الانتماء الإيماني:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

يتّجهون في حمل المسؤولية مع بعضهم؛ أمة واحدة متعاونة متكاتفة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة، إن تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الآية قبل الحديث عن الصلاة، وفي أولويات ما وصفوا به، له أهمية كبيرة ومدلول مهم جداً.

يأتي ليقولَ قبل أن يتحدثَ عن صلاتهم عن إقامة الصلاة:

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

بعدها: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

بعدها وصفاً عاماً: ﴿وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾.

هذا يدلل ويبين ويوضح ويكشف عن مدى الأهمية القصوى لهذه الفريضة؛ لأنه هنا أتى بها قبل الصلاة، وقبل الزكاة؛ لأنه بدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يبقى للصلاة تأثيرٌ في واقع الأُمَّة، لا يبقى للزكاة تأثير إيجابي في واقع الأُمَّة، كُلّ الفرائض الإسْلَامية من الصلاة إلَى غيرها لا يبقى لها إلا التأثير المحدود والبسيط والمتواضع، هي مع المسؤولية هذه لها تأثيرٌ فعال، وعظيم ومهم جداً، لكن تفريغ الإسْلَام وتفريغ الانتماء والهُوية الإيمانية بمسؤولية كهذه يضرب بقية الفرائض.

نجد أنه في الإطار الآخر حينما يتحدَّثُ عن المنافقين كيف يصفُهم، قبل هذه الآية بآيات.

تحدث عن المنافقين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾

شكلية واحدة، طريقة واحدة، اتجاه واحد، سلوك متشابه.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]

هكذا يصفهم:

﴿نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُون ﴿٦٧﴾ وَعَدَ

﴿الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيم ﴿٦٨﴾﴾[التوبة] هذه الآية أيضاً تضمنت فرزاً مهماً، توصيفاً دقيقاً لحركة النفاق في الأُمَّة، المنافقون والمنافقات ليس وجودهم في داخل الأُمَّة وقوفاً جامداً وراكداً، وليسوا حالةً تعيشُ نفاقها في واقعها الداخلي وحسب..

لا..

المنافقون والمنافقات هم حركةٌ في أوساط الأُمَّة، ليسوا منكفئين بنفاقهم على واقعهم الداخلي، ليسوا حركةً انزوائية تاركةً للأُمَّة بسبيل حالها، حركة وأية حركة، أمراً بالمنكر، والمنكر عنوان واسع، المنكر فكرة، المنكر سلوكٌ، المنكر عملٌ، المنكر موقفٌ، المواقف التي يدعون الأُمَّة إليها ويدفعون بالأمة إليها هي مواقف منكرة، هي غلط، هي في الاتجاه الخاطئ.

فهم لا يجمدون يأمُرون بالمنكر، لا يكتفون بأن يكونوا هم في تفكيرهم المنكر، ونظرتهم المنكرة، وواقعهم المنكر، وسلوكهم المنكر، إنما يأمرون بهذا المنكر في أوساط الناس، فيتحَرّكون حركةً استقطابية في واقع الأُمَّة بُغية أن يعمموا هذا المنكر في أوساط الأُمَّة.

فتراهم في كُلّ مراحل التأريخ كلما برز موقفُ منكر كانوا هم دُعاتَه ورجالَه وحملتَه، والمستقطبون له، والضلال، والظلام، كُلّ أشكال المنكر لهم نشاط فيه.

و مـن جانب آخـر.. ينهون عن المعروف، يتحَـرّكون في السـاحة حركة مضـادة للمعـروف، الموقـف المعـروف، الموقـف الصحيح، الموقـف الذي ينسجم مع الإسْـلَام في تعاليمه في مبادئه في قيمه في أَخْلَاقه، ينهون عنه، يصدون عنه.

هكـذا هـم.. حركـةٌ تخريبيـةٌ فـي داخـل الأُمَّـة؛ لأنهـم ينتمـون إلَـى الإسْـلَام، ويحاولون أن يكونوا هم المعبرين عنه، ولأنهم يتحركون داخل الأمة يكون أثَـرُهم سـيئاً جداً في واقـع الأمة لأنه يطال حياة الناس ويمُسُّ بكرامتهـم وبأمنهـم، وباسـتقرارهم ..يمـس بطبيعـة الوجـود العـادي في الحياة، هم شر على الأُمَّـة.

فـي مقابل حركتهم هذه فـي الحياة تحدثت الآية عن مسـتوى عذابهم وسخط الله عليهم بشكل عجيب جداً، جاء الوعيد الإلهي:

﴿وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾

مع أنهم منتمون إلَـى الإسْـلَام، مع أنهـم يصلون، مع أن البعضَ منهم لهم مسـاجدُ الضرار، والبعضُ منهم قـد لا يصلي، هم فئات متنوعة، لكن منهـم مَن يلبـس لباسَ الديـن، من لديه مسـاجدُ الضـرار، منهـم أيضاً مَن يتحَـرّك تحت عناوينَ إيمانية.

﴿مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّـهِ وَبِالْيَوْمِ﴾ يعني كحركة وليس فقط كانتماء، كحركة يتحَـرَّكُ تحت هذا العنوان الإيماني، ولذلك قال تعالى: (من يقول) لـم يقل (مـن قال)،بل: (مـن يقـول)،.. يكرر ذلـك يعني: يتحَـرَّكُ تحته

كعنوان، حركة تخريبية في واقع الأُمَّـة، نجدُ بعد أن نقرأ وعيدَ الله: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ﴾.

لاحظـوا في هذه الآية، بدأ الوعيد الإلهـي بالمنافقين قَبل الكفار، ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ هي كفايتهم، جهنميون ليس لهم إلا جهنم، بلغوا مبلغاً فظيعاً من السـوء والتخريب في واقع الناس، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللهُ﴾ نعوذُ بالله من سخط الله، هذا يعبّرُ عن سخط كبير جداً عليهم من الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيم﴾ [التوبة:٦٨].

إذاً..مَن ننتظر؟!، مَن؟، ليتصدَّى لهذه الحركة التخريبية في واقع الأُمَّـة، إن الـدورُ الـذي يواجه هذا الـدور التخريبي في الأُمَّـة مـن الداخل هو الدور الإيماني..

﴿وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَاء بَعْـضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾

الموقـف المعـروف فـي كُلّ زمـن، رجالُـه، دعاتـه، أنصـاره، حمَلَتُه هم المؤمنون.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ مَن يقفون ضـد المنكر، ضد المنكر موقفاً..ضد المنكر سـلوكاً..ضد المنكر حكماً وتسلطاً..، لا يتصدى له إلا المؤمنون والمؤمنات:

﴿وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَاء بَعْـضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَه﴾[التوبة:٧١].

الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) عمِلَ على إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقع الأُمَّة

الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) عمِلَ على إحياء الحركة الإيمانية هذه في واقع الأُمَّة، واتجه الاتجاه الصحيح؛ لأن البعضَ قد يقول: صحيح جيد. نأمُرُ بمعروف وننهى عن منكر، ولكن على البسطاء والمساكين، البعض سيتحَرّك لإقامة المعروف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن إذا كانت المسألة في حدود التعاطي مع الناس العاديين البسطاء، لا، في حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتجه رأساً وبادئ ذي بدء وبشكل أساسي ومركَّز عليه تجاه القضايا الكبيرة، المسائل المهمة، المسائل الكبرى التي تنطوي على كُلِّ التفاصيل وتتفرَّعُ عنها كُلُّ التفاصيل، الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) كان يعي ذلك جيداً كان يعي ما معنى قول النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «**أفضلُ الجهاد كلمةُ حَقٍّ في وَجْهِ سُلطانٍ جائرٍ**».

تحَرّك الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) حركةً شاملة حركة عامة، مواجِهاً لأصل المنكر لمنبع المنكر، السلطة القائمة التي هي منكرٌ بذاتها، منكرٌ بسياساتها، منكر بتوجهاتها، منكرٌ بما تفرضه في واقع الأُمَّة، منبعٌ للمنكر ومصدرٌ للمنكر، ينتشرُ من خلالها المنكرُ في واقع الأُمَّة وبقوة وبسلطة، فاتجه هذا

الاتجاه نحو القضية المركزية القضية المهمة القضية الرئيسية، وواجه أصلَ المنكر، فتحَرّك (عليه السلام) وهو يعي أهميةَ هذه المسئولية.

نأتي إلَى خطورةِ التفريط في هذه المسئولية، اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في كتابه الكريم ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٨] على لسان نبيين من أنبياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نبي الله داوود ونبي الله عيسى (عليهما السلام)، على لسان داوود وعيسى بن مريم، حالة سخط كبير، حالة استياء كبير، حالة مقت شديد، لدرجة أن كُلّاً منهما لعن بني إسرائيل، على ماذا؟، هذا السخط الذي وصل إلَى هذه الدرجة، هذا أشدُّ ما يمكنُ أن يدعوَ به نبيٌّ على قومه أن يلعنَهم، أشد ما يمكن أن يدعو به ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُون ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

الحالةُ التي سادَتْ في أوساط بني إسرائيل هي كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، عُطّلت هذه الفريضة بشكل كامل، حينما يُعطّل هذا المبدأُ وَتُهْجَرُ هذه الفريضة في واقع الأُمَّة، تكونُ هناك سلبياتٌ كبيرة ينمو المنكر، يفرض حضورَه في الساحة فيسيطر على الساحة تماماً، إذا غُيّب من الساحة صوتُ الحق، إذا عُطّلت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والموقف من الظالمين والفاسدين والطغاة والمجرمين خَلَتْ لهم الساحة، حينها تستحكم قبضتهم، تقوى سلطتهم، تكبر هيمنتهم، فيملؤون الساحة

بدون تردد بدون رادع بدون حاجز بدون مانع بالمنكرات والمفاسد والمظالم والطغيان، حينها يتجرؤون على فعل أي شيء مهما كان فظيعاً، مهما كان إجرامياً مهما كان وحشياً مهما كان طغياناً، لا يتحرجون من شيء.

حينها يصل واقعُ الناس إلَى واقع خطير للغاية، وتكون الحالةُ القائمة في أوساطهم حالة لا يرضاها اللهُ لهم ولكنهم كانوا سبباً في أن تصل إلَى ما وصلت إليه، فيخسرون القداسة، قداسة هُويتهم وانتمائهم ويغيب الحق من واقعهم، الحق في مضمونه، الحق في أثره في الواقع، الحق في تأثيره الإيجابي ونفعه في الحياة، ولهذا ورد عن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه قال: «**لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر ولا تأخُذُ على يد الظالم ولا تُعِيْنُ المُحسِنَ ولا ترد المسيء عن إساءته**»، أمة كهذه أمة فقدت قداستها، يعني أمة سيئة، لن يبقى للحق ولا للخير ولا للقيم النبيلة ولا للفطرة الإنسانية حضور في واقع حياتها؛ تصبح الحالة حالة سيئة جداً، وأسوأ واقع، وأسوأ حال يصل إليه الناس هو الحال الذي تغيب عنه القيمُ والمبادئ والأَخْلَاق.

في نَصٍّ آخر عن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يبينُ خطورةَ التنصل عن هذه الفريضة وعن غيابها من الساحة يقول: «**لَتَأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر أَوْ ليسلطنَّ اللهُ عليكم شرارَكم ثم يدعو خيارُكم فلا يستجاب لهم**» إذا تنصلت الأُمَّة عن مسؤوليتها في الأمر بالمعروف وفي النهي عن المنكر تصبح الساحةُ كما قلنا خاليةً للأشرار ولكن

حتى بالتسليط، وحالة التسليط هي حالة خطيرة جداً؛ لأنها حالة زائدة على واقع الأُمَّة في وهنها وضعفها واستسلامها وخنوعها، هي حالةٌ يتحَرّك أولئك الأشرار فيها بنزعة الشر، بطبيعة الشر، بنفسية الشر، بتوجُّه الشر، بممارسات الشر، ولكن أيضاً مسلطون لديهم جُرأةٌ أكبر؛ لأنها نزعت عن الأُمَّة كُلّ أشكال الرعاية التي تقطعُ عن الأُمَّة ولو بعضاً من شرهم؛ لأن الله أصبح ساخطاً على الأُمَّة حينما تتنصَّلُ عن مسؤوليتها، فالله سُبْحَانَهُ لا يوليها أيَّ رعاية حينئذ ولا يقطع عنها ولو قليلاً من شر أولئك، ولذلك نجد أهمية هذه الفريضة.

اليومَ واقعُ الأُمَّة على ما هو عليه الامتداد النفاقي في حركة الأُمَّة قائم

اليومَ واقعُ الأُمَّة على ما هو عليه، الامتداد النفاقي في حركة الأُمَّة قائم، وله حضور كبير بشكل دول، بشكل أنظمة متسلطة، يمتلك جيوشاً، يمتلك ثروات هائلة، يسيطر على مواقع السلطة وعلى مواقع الثروة في مناطقَ كثيرةٍ من الأُمَّة، وهناك امتدادٌ إيماني دائم أيضاً في واقع الأُمَّة، هذه الأُمَّة لا ينفد منها الخيرُ بشكل كامل، يبقى للخير حضورُه ويبقى للحق وجوده ويبقى للحق والعدل والخير والهدى أنصارُه وحَمَلَتُه وصوته، وتختلف الأحوال من ظرف إلَى ظرف ومن مرحلة إلَى مرحلة في مستوى قوة وتأثير هذا الحضور أَوْ معاناة هذا الحضور، في مستوى تفاعُل الأمَّة.

وعلى كُلٍّ يتجلى في عصرنا هذا أيضاً بشكل كبير سوءُ الأثر التخريبي

لحركة النفاق في الأُمَّــة، أولئك الذين يأمرون بالمنكر ويمارسون المنكر، وطبعوا واقعَنا الإسْــلَامي في معظم ميادينه وساحته بالمنكر وبأشكال مختلفة، شكلٌ منه ألبس لباسَ الدين هو الشكل التكفيري، ولكن بكل بشاعة، وبممارسات فظيعة جداً جداً ومشوِّهة للإسْــلَام إلَى أسوأ حال، إلَى أسوأ مستوى، إلَى ما لا يمكن تصوُّرُ أفظعَ منه، وأسوأ منه، وأقبح منه، وشكلٌ آخر تفريغٌ تام بغير اسم الدين تفريغ تام، إما تحت عناوينَ سياسيةٍ، أَوْ عناوينَ مناطقيةٍ، أَوْ بدون عنوان أحياناً.

تحت طائلة تأثير الجانب المادي، الفلوس، وهكذا تحَرّكوا في أوساط الأُمَّــة وهم يتحَرّكون اليوم، وتجلى للأُمَّة سوء ما يعملون وفَظاعة ما يتصرفون به ويتحَرّكون به في واقعهم، ما نعاني منه اليوم في أمتنا الإسْــلَامية في شتى مناطقها من النشاط التكفيري الذي يرعاه النظامُ السعودي وتحت المظلة الأمريكية والتوجيه الأمريكي وهندسة السياسة الأمريكية، وبما يخدُمُ إسرائيلَ ويفيد إسرائيل ويحمي إسرائيل، نرى اليوم سوءَ الدور في واقع الأُمَّة، وما ألحقه بالأمة من خسائرَ كثيرةٍ، القتل في كثير من الأقطار وأصبح حالة يومية وباستهتار كبير بالأرواح، وبالحياة، التدمير، إثارة الفوضى، الواقع السيء والمتردي في واقع الأُمَّة الذي يعيقُ الأُمَّــة ويعطّلها عن بناء واقعها وتصحيح وضعيتها وإصلاح حالها، يعني واقع هو من جانب تدميري وشر ومؤثر وضار بالأمة فيما يمُسُّها بشكل مباشر، قتل وإهدار للأموال والممتلكات وتضييع للحقوق وفي نفس

الوقت ضياع للأُمَّة في مشروعها الذي يفترض أن تكون منطلقة فيه، وسوء ما بعده سوء، لكن في الجانب الآخر هناك في واقع هذه الأُمَّة نرى للحق صوته، نرى الكثير والكثير، في كثير من أقطار العالم الإسْلَامي، يتحَرّكون وينطلقون ونسمعُ منهم صوتَ الحق ونرى في مواقفهم قوةَ الحق وصلابة الحق في مواجهة ذلك الطغيان وذلك المنكر وذلك الفساد وذلك الظلم.

إنما يقوم به اليوم النظامُ السعودي بشكل مباشر وعبر أدواته في العالم الإسْلَامي في مناطقَ متعددةٍ من العالم الإسْلَامي ما هو إلا امتدادٌ في مضمونه وممارساته وشكله وأصله وفصله وفرعه للحركة النفاقية في عصر الإسْلَام كله، في تأريخ الأُمَّة الإسْلَامية بكلها، ولكنه اليوم بإمكاناتٍ أكثر وبقدرات أكثر وبثروة أكثر، يمتلك اليومَ القنواتِ الفضائية، يمتلك اليومَ الأسلحةَ الحديثة، ولكن شكله المنكر واضح جداً، على مستوى العالم الإسْلَامي بكله، ولا يزال الْخَطَرُ محدقاً بالكثير من البقاع الإسْلَامية التي لا زال فيها بعضٌ من الهدوء أَوْ قدرٌ من السكينة والاطمئنان، لا زالت دولُ المغرب العربي ولا زالت مصر ولا زالت العديد من البلدان التي تشهد بعضاً من الاستقرار؛ لا زالت معرضةً للخطر بالقدر الذي تعرضت له اليمن وتعرضت له سوريا وتعرض له العراق وتعرضت له بلدان أخرى، ولكن في المقدمة هذه البلدان؛ لأن النشاط الذي يمارسُه النظامُ السعودي وهو نشاطٌ نِفاقي بكل ما تعنيه الكلمة، يبدأ أولاً بشكل

النشـاط الدعوي والخيـري، كُتُب، ومدارس، وتمر، وفلوس، وما شـاكل ذلـك وبأسـلوبٍ لطيـف وَوُدِّيٍّ حتى يتمكن مـن اختراق البلـدان، بعد أن يتمكـن من اختـراق أي بلد ينحـو منحىً آخر، يحول نشـاطَه الذي ألبسـه لباساً دعوياً إلَـى نشاط يعبئ الجماهيرَ التي استقطبها بذلك الفكر الظلامي وبالعُقَـدِ والأحقـاد والعداوة التـي لا نظيرَ لها في العالم أبـداً، ويفرغ ذلك الإنسـان من مضمونه ومحتواه الإنسـاني الذي فطره اللهُ عليه فيحوله إلَـى إنسانٍ متوحش.

كان في البداية إنسـاناً وديعاً: يطلق لحيتَه، يدهن وجهَه، يتكلم بالكلام اللطيـف، يحمِلُ المسـواكَ في كثيرٍ من الحالات، ثـم لا تنتبهُ إلا وقد وضع المسـواك وأخذ بدلاً عنه الرشـاش، ولبس بدلاً عن الثـوب الأبيض، يلبس الحزامَ الناسـفَ واتجه وهو كله حقـد وكله كراهية لَمَن؟ هل لأعداء الأُمَّـة للأمريكـي للإسـرائيلي لَمَن يشـكلون خطَـراً حقيقياً على شـعوب المنطقة بكلهـا؟!، لا، هل لدفع الخطر الإسـرائيلي وإنقاذِ الشـعب الفلسـطيني؟، لا، يتجه سـوقاً أَوْ مدرسـةً أَوْ مسـجداً، وهو يحملُ كُلّ ذلك الحقد فيفرغُه مـع الكثيـر مما حملـه في حزامه الناسـف يضرب بهـا المصليـن أَوْ يضرب بهـا المتسـوّقين أَوْ يضرب بها طلابَ المدرسـة أي شـكل هـذا؟، أَوْ يذهبَ ليفتـح جبهة داخلية في قُطر من الأقطار الإسْـلَامية والأقطار العربية ليثيرَ الفِتَـنَ الداخليـة بين أهل منطقة كانـوا فيما قبل أهل منطقـة واحدة متآخين مسـالمين لبعضهم البعض ولو طرأت إشكالاتٌ تكون في مستواها مشاكلَ

محدودةً، يُفْصَلُ فيها، أَوْ يبقى لها مستواها وحجمُها العادي، لكن تتحول المسألة بفعل هذا النشاط التخريبي إلَى مسألة معقّدة ويأتي التكفيري يعتبر الآخرين كفاراً، ويعتبر أنه لَا بُدَّ من قتلهم وإبادتهم بأي شكل كان، بأي أسلوب كان، إمَّا بالحزام الناسف، إمَّا بالقنبلة أَوْ بالطائرة، كما يفعلُ النظامُ السعودي نفسُه، أَوْ بأي سلاح كان، إمَّا بالسكين الذي يذبح الرقبة، وإما بالقنبلة والتفجير الذي يمزّقُ الناسَ إلَى أشلاء.

هكذا ظهروا متوحشين وسيئين ويشكّلون خطراً على الأمن، يشكّلون خطراً على السلم الأهلي في كُلِّ بلد، ويطبعون أنفسَهم بالطابع الديني، يُرَسِّخُون الولاءَ السياسي في أي بلد للنظام السعودي نفسه، فيكون المصري الذي هو في مصر ولاؤه للنظام السعودي وعقيدتُه تكفيريةٌ، وتوجُّهُهُ ضد أهل بلده وأهل منطقته توجُّهاً عدائياً إلَى حد عجيب، مثيلُه في الجزائر، مثيلُه في تونس، مثيلُه في أي بلد إسْلَامي آخر، حينما تعطي أمريكا ضوءاً أخضرَ للنظام السعودي، أن أثيروا الفتن في البلد الفلاني، بسرعة إصدار الفتوى، بعد إصدار الفتوى التحَرُّك في الميدان، فإذا ذلك البلد يلتهبُ بالفتن والأخطار والمشاكل، يتمزق نسيجُه الاجتماعي، يحترب أهلُه فيقتتل ليلَ نهارَ، تدمَّرُ فيه المدن والقرى، يهلك فيه الحرث والنسل، هذه هي الحركة النفاقية نرى أسوأ أشكالِها وأفظعَ آثارها ونتائجها في النظام السعودي وما يرعاه في الواقع.

ويأتي عدوانُه على اليمن تحتَ المظلة الأمريكية والإشراف الأمريكي

والرغبة الإسرائيلية والتشجيع الإسرائيلي والمساهَمة والمشاركة الإسرائيلية، يأتي عدوانه على بلدنا في هذا السياق نفسه، تخريباً وعدواناً، وبطشاً، وظلماً وطغياناً، وعدواناً بغير أي حق، وبدون أي مبرر، يرتكبُ أفظع الجرائم، ثم يحاول التنصُّلَ عنها، الإنكار لها، وهي جريمة واضحة مشهودة بشكل واضح لا لَبْسَ فيه أبداً.

ثم استمرت جرائمُهم بحق أبناء هذا الشعب مستهترين بحياة الناس مستبيحين للجميع، يقتلون الجميعَ في كُلّ مكان، قتلونا كشعبٍ يمني في الأسواق، في المساجد، واستهدفوا حتى المقابر، البعضُ من المقابر قديمة لها زمن طويل، يلقون عليها القنابل، استهدفوا كُلّ شيء، يستبيحون حياة الناس، منكر، يأمرون بالمنكر ويفعلون المنكر، ويتصرفون المنكر، ويفعلون كُلّ ذلك، جرائمُهم واضحة وبيّنة ومشهودة، وعدوانهم مستمر، ولكن ما يمكن أن يُفيدَ شعبَنا، كما قلناه مراراً وتكراراً، هو التحمُّلُ للمسؤولية، هو التحَرُّكُ الجاد، هو العمل، هو الموقف، هو رفدُ الجبهات ودعمُها بالرجال الأبطال، هو الصمودُ والثبات والتوكل على الله.[1]

❋❋❋

(١) من خطاب السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في ذكرى استشهاد الإمام زيد (عليه السلام) عام ١٤٤٠ هجرية (بتصرف).

دروس وعبر

ثورة الإمام زيد هي مدرسة كبرى مليئة بالدروس والعبر.

عندما نستذكر هذه الذكريات المريرة والمؤلمة والمحزنة والمؤسفة والموجعة في تاريخنا لا نستذكرها فقط لنتسربل الأحزان ولنعيش المأساة ولنعيش الحزن من جديد فقط، إنما نعود إليها باعتبارها مدرسة كبرى نأخذ منها الدروس والعِبَر التي نحن في أمس الحاجة إليها في عصرنا هذا في مواجهة كل التحديات والأخطار التي تعيشها أُمتنا.

لقد كانت ثورة الإمام الشهيد زيد بن علي(عليه السلام) امتداداً لثورة جَدِّه الحسين(عليه السلام) وامتداداً لحمل المشروع الرسالي الإلهي الذي بلَّغه خاتم الأنبياء محمد(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وهكذا واصل الإمام زيد(عليه السلام) ذلك المشروع بروحه ومبادئه ومواقفه وأخلاقه وحمل لواءه في الأمة منادياً ليبقى للحق صوته وليبقى للحق امتداده وليبقى للعدل حَمَلتَه وليبقى للنور الإلهي من يعملون على نشره في الأمة وليبقى طريق ونهج الإصلاح لواقع الأمة والتصحيح لمسارها قائماً وممتداً عبر الأجيال، لا يوقفه زمن ولا تقف بوجهه تحديات أو أخطار؛ لأن له حملةً عظماء حملوا روحيته، حملوا مبادئه، حملوه نوراً في أرواحهم، وحملوه إيماناً راسخاً في قلوبهم، وحملوا لواءه ورايته بكل ما هناك من تحديات وأخطار ونكبات كبيرة ومصائب مؤلمة وجارحة، بثباته بصلابته بوهجه

وقوتـه كانوا يتحركون من عصرٍ إلى عصر مـن جيلٍ إلى جيل من زمن إلى زمن في مواجهة ألف يزيد وألف هشام من مدرستهم تلك.

نحن بأمسّ الحاجة إلى أن نعود إلى مدرسة الإمام زيد

ونحـن في هـذا العصر الذي عـمّ فيه الطغيان علـى أُمتنا وشَـمَلها بلاء الطغـاة وظلمهـم وإجرامهم وفسـادهم، العصر الذي تعيش فيـه أُمتنا أكبر التحديات وأكبر الأخطار والأمم الأخرى تتكالب عليها مسـتهدفةً لها في دينهـا ومبادئهـا ومسـتهدفةً لها في أرضهـا وعرضها وعزها وشـرفها وكل مقوماتها ومقومات وجودها؛ نعود إلى تلك المدرسة إلى مدرسة زيد تلميذ جَدِّه الحسـين إلى مدرسـة عاشـوراء إلى المدرسـة المحمديـة الكبرى التي أنجبـت أولئك العظـماء الذين حملوا راية الحق والعدل وضحوا بأنفسـهم وبالغالـي والنفيـس من أجـل إنقاذ الأمة من أجل إصـلاح واقعها من أجل استنقاذها من هيمنة الطغاة والمجرمين والمستبدين...

نعود إلى تلك المدرسـة لنكسب من مجدها وعزها لنتعلم كتلامذة في تلـك المدرسـة الكبرى لدى أولئك الأسـاتذة العظماء الأجـلاَّء نتعلم منهم العـزّ والثبات واليقيـن والبصيرة والوعي والإخـلاص، نتعلم منهم الثبات فـي مواجهـة التحديات، نتعلـم منهم التضحية مـن أجل المبـادئ العظيمة والسامية، نتعلم منهم كيف نستمر في حمل راية الحق والعدل، لا نبالي لا بطغيان طغاة ولا بجبروت ظالمين ومسـتبدين، نتعلم منهم كيف نثبت على

المبادئ حتى لو ارتد وتراجع عنها الكثير من الناس، كيف نحمل في قلوبنا ومشاعرنا عزة الإسلام وكرامة الإسلام والمبادئ الإلهية العظيمة التي بها شرف أمتنا وتمثل الأصالة الحقيقية للانتماء الصادق إلى الإسلام العظيم وإلى قرآنه ونبيِّه.

نعود إلى الإمام زيد(عليه السلام) من عصرنا من واقعنا من ظروفنا ونحن نعيش كل التحديات ونرى كل المساوئ كل الظلم كل الطغيان، ونحن نعيش أبشع عدوان عرفه التاريخ يستهدف ديننا، وعزَّتنا، وكرامتنا، وحرِّيتنا، ووجودنا.

١. التحرك الجاد ضد الطغاة والمستكبرين وكسر حالة الجمود والإذعان

نعود إلى الإمام زيد(عليه السلام) الذي تحرك رغم سكوت الآخرين شق حالة الصمت وحالة الجمود وحالة الإذعان والاستسلام وتحرك في وسط جمهور الأمة ليستنهض الأمة من جديد مذكراً لها بكتاب الله سبحانه وتعالى وبالمبادئ العظيمة؛ يتحرك لتغيير ذلك الواقع الذي ملأه الظالمون بظلمهم والمفسدون بفسادهم وأفسدوا فيه واقع الأمة على كل المسارات وفي كل الاتجاهات وفي كل المجالات.

الإمام زيد(عليه السلام) في ذلك الواقع المُتردِّي وهو يُقَيِّم واقع الأمة في ظل حكومة جائرة ظالمة مستبدةٍ تقيم أمرها على الطغيان ولا تقيمه لا على أساس من العدل ولا على أساس من الحق ولا على أساس من الخير

وليس لديها مشروع لبناء الأمة ولا لإصلاح واقع الأمة ولا لإقامة الدين ولا لصلاح الدنيا.

الإمام زيد(عليه السلام) في ذلك الواقع المُتردِّي الذي لم يبقَ فيه لدى تلك الحكومة الجائرة الظالمة، الدولة الأموية المستبدة التي لم يبقَ لديها أي قيم ولا أخلاق ولا انتماء حقيقي للإسلام حتى الإسلام حتى رموزه حتى مقدَّساته لم يبقَ لديها أي قيمة لدى تلك الحكومة الجائرة.

٢. الرحمة للأمة والتضحية من أجل عزتها وحريتها وكرامتها

تحرك الإمام زيد(عليه السلام) في ذلك الواقع المُتردِّي السيء الذي عم فيه الظلم للأمة بكلها، والذي تعاني فيه الأمة من انحطاط في قيمها وأخلاقها ومبادئها، وخطورة كبيرة جداً على انتمائها السليم والأصيل للإسلام؛ تحرك يحمل مشروع الإسلام الذي هو قائم على أساس إقامة العدل والحق في الحياة، تحرك يحمل لواء العدل منادياً في الأمة غير آبه بخذلان المتخاذلين ولا بصمت الصامتين ولا بخنوع الخانعين والجامدين، تحرك من واقع المسؤولية وهو يحمل في قلبه الرحمة للأمة, الحرص على استنقاذها مما هي فيه، الحرص على إصلاح واقعها.

وليس هناك أبلغ تعبيراً عن حبه لأمة جده من قوله: «**والله! لوددت أن يدي ملصقة بالثريا فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بي أمر أمة محمد**».

هـذا الحرص وهذه الرحمة بالناس التي منشـؤها أثر الإيمان العظيم أثر الانتماء الأصيل للإسلام بأخلاقه ومبادئه حملها الإمام زيد(عليه السلام).

٣ـ استشعار المسؤولية والتحرك الجاد والفاعل

لقد تحرك الإمام زيد (عليه السلام) مع قلة الناصر وقلة العدد والعدة كما تحرك جَدُّه الحسين(عليه السلام) مقتبساً أثره سالكاً في دربه في ظل راية الإسلام ونور الإسلام، تحرك(عليه السلام) وهو ذلك الذي كان يحمل كل الألم وكل التوجُّع على أمة جَدِّه حينما يرى ظلم الظالمين وجور الجائرين ويستشعر مسؤوليته العالية، مسؤوليته الكبيرة تجاه ذلك فيقول: «**والله! ما يدعني كتاب الله أن أسكت، والله ما يدعني كتاب الله أن تكف يدي**».

يتحرك من واقع الشعور بالمسؤولية لا ملتمساً لشيءٍ من حطام الدنيا ولا هادفاً إلى سلطة ولا إلى مغنمٍ مادي، تحرك وهو يحمل عزة الإيمان ويدرك أنه في ظل واقع كذلك الواقع والذي هو شبيه بواقع أمتنا اليوم لا يجوز الجمود ولا السكوت ولا الصمت ولا الإذعان ولا الاستسلام؛ لأنه لا يؤدي إلاَّ إلى المزيد من استحكام الظلم وسيطرة الطغاة وتحكمهم بالواقع يهدمون أخلاق الأمة ويضيعون مبادئها ويعمونها بالفساد والشر والطغيان.

٤. كيف نخلع ثوب الذل والخوف

تحرك (عليه السلام) وهو يعرف أن الثمن هو التضحية، وأنه لا بد من التضحية في ظل واقع كذلك، تحرك وهو يقول: «**ما كره قومٌ قط حَرَّ السيوف إلا ذلُّوا**» إلاَّ ذلوا.

تحرك وهو يدرك أنه من الواجب على الأمة أن تخلع عنها ثوب الذلّة، وأن تتحرك دون أن تأبه لجبروت الظالمين وطغيانهم لقد كان يدرك بأن من أهم الركائز التي يتحرك من خلالها ويتمكن من خلالها الطغاة والظالمون في استحكام أمرهم على الأمة وفي السيطرة على الأمة واستعباد الأمة هي: الجبروت والبطش والطغيان الترويع والإخافة واستعمال البطش بقسوة كبيرة وفظاعة ووحشية لا نظير لها، يقتلون ويسجنون ويُدمِّرون ويُخربون ويستبيحون الدماء فيسفكونها بغير حق ويزهقون الأرواح بغير حق، ويحاولون بذلك أن يعمموا حالة الخوف والفزع والجزع في نفوس الناس حتى لا يرفع أحدٌ له رأس ولا ينطق بكلمة حقّ ولا ينادي بحق ولا يعارض باطلاً، هكذا كانوا يعملون.

وهذه الحالة تركت أثرها على الكثير من أبناء الأمة فكانوا مُكبَّلين بقيود الخوف لا يجرؤون على اتخاذ موقف ولا يجرؤون على تحمل مسؤولياتهم في مواجهة الظلم والطغيان والفساد، والقليل القليل من صفوة الأمة كانوا متحررين من قيود الخوف فوقفوا بصدقٍ وثباتٍ وتضحية وفدائية لا نظير لها مع الإمام زيد(عليه السلام)، وقبله مع الإمام الحسين(عليه

السلام)، وبعدهما مع كل الأحرار والعظماء الذين ثاروا وتحركوا في الأمة لإصلاح واقعها وتصحيح مسارها.

الإمام زيد(عليه السلام) كان يُدرك خطورة الخوف وأثره السيء في تجميد الأمة وفي تكبيلها وفي فرض حالة الإذلال عليها فقال هذه الكلمة: «**ما كره قومٌ قط حَرَّ السيوف إلا ذلُّوا**».

نتيجة الخوف نتيجة الإذعان لحالة الفزع والجزع من بطش الظالمين وجبروتهم هي: الذلة؛ تُفرض على الأمة حالة الذل والهوان والاستسلام والعجز وإذا ذلَّت الأمة كان لديها القابلية أن تُذعن لكل ما يعمله الطغاة فلا تقف في وجههم ولا ضد طغيانهم لو عملوا ما عملوا، ولو فعلوا ما فعلوا هي الحالة الطبيعة لحالة الذل.

ولذلك يقول(عليه السلام): «**من استأثر حب البقاء استدثر الذُّلّ إلى الفناء**»، من يصبح كل تعلقه بهذه الحياة والبقاء فيها فهو متشبِّث بالحياة، وخوفه من أن يُقتَل نتيجة بطش الظالمين ويفارق هذه الحياة الفانية والزائلة نتيجة جبروتهم؛ يفرض عليه هذا الواقع هذه الحالة: حالة الذُّل، فهو يتلبس بالذُّل ويتدثر به ويقع رهينته وأسيره لا يقف موقفاً مُشرِّفاً ولا موقف عزَّة إلى أن يفنى.

٥. البصيرة والوعي

الإمام زيد (عليه السلام) نادى في الأمة: «**البصيرة البصيرة**» هكذا كان ينادي الأمة عباد الله: «**البصيرة البصيرة**»؛ لأن أول ما تحتاج إليه الأمة

هو الوعي, الوعي والبصيرة فلا تُضلَّل ولا تُخادَع ولا يُؤثِّر فيها كل مساعي المُضلِّين والمجرمين بكل وسائلهم وكل إمكانياتهم للتضليل والخداع.

٦. عظمة أن ترى نفسك مجاهداً في سبيل الله

الإمام زيد (عليه السلام) حين وقف في ساحة الجهاد وقد خفقت فوق رأسه الرايات قال(عليه السلام): «**الحمد لله الذي أكمل لي ديني، لقد كنت استحيي من جدي رسول الله**(صلى الله عليه وعلى آله وسلم) **أن أرد عليه يوم القيامة ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر**».

هذه النظرة القرآنية، هذه النظرة الصحيحة والسليمة إلى حقيقة الدين: أن الدين بدون الوقوف في وجه الظلم يبقى ناقصاً، الإيمان يبقى ناقصاً غير مكتمل؛ لأن إقامة العدل هدفٌ أساسيٌ لرسالات الله بكلها، كل رسالات الله كان من أهم أهدافها إنقاذ البشر وتخليصهم من استعباد الطواغيت وإنقاذهم من سطوة الظالمين وطغيان الطغاة وفساد المفسدين.

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] فكانت إقامة القسط إقامة العدل في واقع الحياة هدفاً أساسياً لرسالات الله سبحانه وتعالى، وإذا لم يبقَ هذا الهدف هدفاً للأمة ومسعىً عملياً لها فإن دينها ناقص ولن يتم لها أبداً، يُفرض عليها الباطل وتُضرب في أخلاقها وفي مبادئها وفي قيمها وتهون وتذل.

٧. العزة والحرية والإباء

الإمام زيد (عليه السلام) سطر لكل الأجيال المتعاقبة بقوله والفعل, بتضحيته والعطاء, بدمه وبروحه وبموقفه سطر للأمة درساً عظيماً ومهماً في المجد وفي الإباء وفي العزة وفي الحرية, درساً تحتاجه الأمة لتستفيد منه روحاً وعزماً وبصيرة في مواجهة التحديات والأخطار في مواجهة قوى الشر والإجرام والطغيان إلى يوم القيامة.

لقد كانت ثورة الإمام زيد (عليه السلام) ثورة في وجه الطغيان, الطغيان الذي شمل الأمة الإسلامية, وعانت منه الأمة الإسلامية, الطغيان الأموي الظلم الأموي الذي استحكمت قبضته آنذاك ليستبد وينهب ثروات الأمة ويعمل على إذلالها وقهرها ويستعبدها ويخضعها ويمارس بحقها كل أصناف الظلم.

الإمام زيد (عليه السلام) كانت ثورته امتداداً فعلياً في المبدأ والموقف لثورة جده الإمام الحسين (عليه السلام)، وكانت ثورته أيضاً تعتبر امتداداً حقيقياً لمنهج الإسلام العظيم, في درب جده المصطفى محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

وكانت ثورته (عليه السلام) تعبيراً حركياً وعملياً عن حقيقة مبدأ الإسلام العظيم عن حقيقة الإسلام كمشروع عدالة، مشروع كرامة، مشروع حرية لبني الإنسان وكانت استجابة فعلية لتوجيهات الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

٨ـ التضحية لتبقى القيم والمبادئ والأخلاق

إن الإمام زيداً (عليه السلام) عندما تحرك في وجه الطغيان الأموي المستحكم الظالم للأمة، المفسد المضل إنما كان يتحرك طبقاً لتوجيهات الله، طبقاً لتعاليم الإسلام ومن خلال تلك المبادئ العظيمة والمهمة التي تجعل للإسلام قيمته في هذه الحياة إذ ليس مجرد طقوس مفرغة لا أثر لها في الحياة ولا قيمة لها في الواقع.

إن الإسلام كما هو دين فيه عبادات روحية فإنه يتضمن المبادئ العظيمة التي تحقق للإنسان حريته، وتحقق للإنسان كرامته، وتكفل للإنسان سعادته هذه هي حقيقة الإسلام, والذين يظلمون ويحسبون ظلمهم على الإسلام ويرتكبون أبشع الجرائم ويفسدون في الأرض ويحسبون كل ما عملوه على الإسلام هم يسيئون إلى الإسلام وهم يقدمون أكبر الإساءة ويشوهون عظمة الإسلام وقيمه النبيلة.

كما أن من يتصورون أن الإسلام مجرد عبادات محدودة روحية ليس فيه أي شيء يمت بصلة إلى كرامة الإنسان وحرية الإنسان وسعادة الإنسان وصلاح الحياة هم أيضاً يحملون نظرة مغلوطة إلى الإسلام وينظرون إليه كشيء لا جدوى منه لا قيمة له لا أثر له لا في الإنسان ولا في الحياة.

أما الحقيقة التي عبر عنها الإسلام في قرآنه، وعبر عنها الأنبياء على مدى التاريخ بكله، وعبر عنها السائرون في درب الأنبياء من المقتدين بهم والناهجين نهجهم والمهتدين بهم؛ فإن من أساس رسالات الله سبحانه

وتعالى هو إقامة العدل في الحياة, إصلاح هذه الحياة, إصلاح الإنسان بنفسه في تزكية نفسه, في أن يحمل القيم والأخلاق العظيمة في إصلاح ممارساته في تقديم المشروع الصحيح الذي يحقق من خلاله العدل والارتقاء في واقع الحياة وفي دوره في هذه الحياة كإنسان.

٩- الارتباط الوثيق بالله والخشية منه والثقة به والحب له وتقواه:

نتعلم من الإمام زيد سلام الله عليه كيف نكون عظيمي الثقة بالله والخشية منه، حيث عُرف سلام الله عليه بأنه كان عظيم الخشية من الله، فكان حينما يقرأ بعضاً من آيات القرآن الكريم ويتأملها يُغمى عليه، وعرف أيضاً بهذا الأثر الإيماني في واقعه بكلِّه في علاقته المتميزة بالله، في أخلاقه وقِيَمِه، في المسؤولية ومواجهة الجائرين، فعلى مستوى الالتزام والتقوى هو القائل (عليه السلام): «**والله ما كذبت كِذْبة منذ عرفت يماني من شمالي، وما انتهكتُ لله محرماً منذ عرفت أن الله يعاقب عليه**» فكان سلام الله عليه على هذا المستوى العالي من الالتزام والتقوى، هو أيضاً القائل: «**والله لو علمتُ أن رضى الله عز وجل في أن أقدح ناراً بيدي حتى إذا اضطرمت رميتُ بنفسي فيها لفعلتُ**»، يعني لو كان ذلك مني يرضي الله لفعلته، هكذا كان في انشداده إلى الله، في تقواه في ذوبانه في طاعة الله سبحانه وتعالى.

أما مواقفه التي تدلُّ على ثقته العالية بالله، فعندما نرى موقفاً واحداً من

مواقفه كم يحمل من دلالات واضحة ومتعددة على ثقته بالله وإجلاله له وارتباطه به سبحانه وتعالى واحتقاره للطغاة والمتجبِّرين المنحرفين عن منهج الله سبحانه وتعالى، فله تلك الوقفة في مواجهة هشام بن عبدالملك الحاكم الأموي الجائر الظالم المفسد الذي بلغ به الحال أن يقول: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه. لكن الإمام زيد سلام الله عليه لم يخَف ولم يرهب ولم يتهرب من تقديم مثل هذا الأمر فقال لهشام: «**اتق الله يا هشام**»، وعندما أبدا هشام انزعاجه وغضبه وقال مستكبراً: أوَ مثلك يأمر مثلي بتقوى الله؟ فرد عليه الإمام زيد (عليه السلام) قائلاً: «**إنه ما من أحد فوق أن يُؤمَرَ بتقوى الله ولا أحد دون أن يوصي بتقوى الله**».

١٠- الثبات وعدم التراجع

لقد تحرك الإمام زيد(عليه السلام) بثبات، وحين رأى تخاذل أهل الكُوفَة من جديد كما تخاذلوا مع جَدِّه الحسين(عليه السلام) قال لأحد القادة الأبطال المجاهدين معه نصر بن خُزيمة قال له الإمام زيد(عليه السلام): «**أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟**»، ففعلوا معه ما فعلوا مع جَدِّه الحسين (عليه السلام)؛ ولكن ذلك لم يُثنه ولم يردُّه ولم يجعله يتراجع إلى الوراء قيد أنملة؛ بل ثبت على موقفه وثبت على مبدئه وهو الذي قال: «**والله! لو لم يخرج إلا أنا وابني يحيى لخرجت**»، لما تراجع حتى لو لم يكن معه إلا ابنه يحيى ابن زيد (عليه السلام).

وخاض ملحمته الكبرى ومعركته الشهيرة في مواجهة المجرمين والطغاة بكل وحشيتهم بكل جبروتهم بكل طغيانهم، وحين أُصيب بالسهم الغادر القاتل في جبهته الشريفة قال (عليه السلام): «**الشهادة الشهادة الحمد لله الذي رزقنيها**» في تلك اللحظات التي عاش فيها الشهادة وفراق هذه الحياة كان يعيش الشعور الذي عاشه قبله جَدُّه الإمام علي (عليه السلام) حينما قال: «**فزت ورب الكعبة**» مطمئناً على الطريق الذي هو فيه وإلى مآله وإلى مساره وإلى نتيجته وعاقبته.

وهكذا هو الطغيان والظلم والجور، وهكذا كان للظلم والطغيان امتداده في واقع أُمتنا من تاريخها الغابر إلى حاضرها المعاصر، في المقابل كان أيضاً هناك امتداد، امتدادٌ لصوت الحق، امتدادٌ للقائمين بالعدل عبر التاريخ وسيبقى هذا الامتداد إلى قيام الساعة.

❋❋❋

وختاماً

ماذا يعني التولّي للإمام زيد؟

التولّـي للإمـام زيد سـلام الله عليه ليس انتـماءً مذهبيـاً ولا كلاماً يتكلم بـه الإنسـان وانتهى الأمر. لا، التولّي سـير فـي الطريق، التولّـي تحركٌ في الصراط المسـتقيم، التولّي التزام بالرسـالة الإلهية في مضامينها في مبادئها في قِيَمها، في أخلاقها، هذا هو التولّي الحقيقي.

ولذلـك نحـن في منطلقنـا في هـذه المسـيرة ننطلق على هذا الأسـاس بالروحية التي كان يحملها الإمام زيد (عليه السلام) مقتبسين من ذلك النور وسـائرين في تلـك الطريق, طريق الجهاد والاستشـهاد, هذه المسـيرة التي كانت ولا زالت وسـتظل تقدم قوافل الشـهداء من شبابها الأعزاء ورجالها الأبطـال فـي ميادين الجهـاد تنطلق من هذه المبادئ الراسـخة من مدرسـة الإمـام زيـد بـن علي من مدرسـة الإسـلام من مدرسـة القرآن مـن روحية الأنبياء تقتبس وتأخذ, وبنورهم تسـتضيئ وتسـتبصر, ومن عزيمتهم تأخذ وتنطلق وتندفع على ذلك الأساس؛ لأن هذا هو الطريق الصحيح؛ لأن هذا هو الصراط المستقيم؛ طريق العزة, طريق الكرامة.

❋❋❋

مما ورد في رثاء الإمام زيد بن علي (سلام الله عليه)

من أبلغ ما ورد في رثاء الإمام زيد بن علي (سلام الله عليه) قول أمير شعراء اليمن الحسن بن علي بن جابر الهبل (رضوان الله عليه):

عُجْ بالكُناسةِ[1] باكيًا لمصارعٍ
غُرٍّ تذوبُ لها النفوسُ تحسّرا

مهما نسيتُ فلستُ أنسى مَصْرَعًا
لأبي الحسينِ الدَّهرَ حتى أُقْبَرا

ما زلتُ أسألُ كلَّ غادٍ رائحٍ
عنْ قبرِهِ لم ألقَ عنهُ مخبِّرا

بأبي وبي بلْ بالخلائِقِ كلِّها
مَنْ لا له قبرٌ يُزَارُ ولا يُرَى

مَنْ لو يُوازَنُ فضلُه يومًا بفَضْـ
ـلِ الخلقِ كانَ أتَمّ منه وأوفرا

مَنْ قامَ للرَّحمنِ ينصرُ دينَهُ
ويحوطُهُ مِنْ أن يُضَامَ[2] ويُقْهَرا

مَنْ نابذَ الطاغي اللعينَ وقادَها
لقتالهِ شُعْثَ النَّواصي ضُمَّرا

---

(١) الكُنَاسَةُ: (كُنَاسةُ كُوفانَ): وهي موضعٌ بالكوفةِ التي تقع ناحية الجنوب من كربلاء في العراق، قُتِلَ بها الإمامُ زيدُ بن عليّ (عليه السلام).
(٢) الضَّيْمُ: الظلمُ أو الإذلالُ ونحوُهما.

مَـــنْ بـــاعَ مـــنْ ربِّ الـبـريـةِ نـفـسَـهُ
يـا نِـعْـمَ بـائِـعُـهـا ونـعـمَ مَـــنِ اشـتـرى
مَـــنْ قـــامَ شـاهـرَ سـيـفِـهِ فـي عُـصْـبـةٍ
زيـديّـةٍ يـقـفـو[١] الـسـبـيـلَ الأنـــورا
مَـــنْ لا يـسـامـي كـلُّ فـضـلٍ فَـضْـلَـهُ
مَـــنْ لا يُـدانَـى قَـــدْرُه أنْ يُـقْـدَرا
مَـــنْ جـــاءَ فـي الأخـبـارِ طـيـبُ ثنائهِ
عـــنْ جـــدِّهِ خـيـرِ الأنـــامِ مُـكَـــرَّرا[٢]
مـــن قـــالَ فـيـهِ كـقـولـهِ فـي جـدِّه
أعـنـي عليًّا خـيـرَ مَـــنْ وَطِـــئَ الـثَّـرَى
مِـــنْ أنَّ مـحـضَ الـحـقِّ مـعـهُ لـم يكُنْ
مـتـقـدِّمًـا عـنـه ولا مـتـأخِّـرا[٣]
هـو صـفـوةُ اللهِ الـذي نَـعَـشَ الـهـدَى
وحـبـيـبُـهُ بـالـنـصِّ مِـــنْ خـيـرِ الـورى
ومُـزَلْـزِلُ الـسَّـبـعِ الـطـبـاقِ إذا دَهَـــى[٤]
وُمـزعـزِعُ الـشُّـمِّ الـشـوامـخِ إنْ قَـرا[٥]

(١) يقفو: يَـتَـتَـبَّـعُ الأثر.
(٢) جاء في الحديث المرفوع: خيرُ الأولين والآخرين المقتولُ في الله، المصلوبُ في أمتي، المظلومُ من أهلِ بيتي سَـمِيُّ هذا، ثم ضمَّ زيدَ بنَ حارثة إليه، ثم قال: يا زيدُ لقد زادك اسمك عندي حبًّا، سمي الحبيب من أهل بيتي.
(٣) مما روي في ذلك ما رواه المرشد بالله (عليه السلام) وغيره عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يُقتل من ولدي رجلٌ يُدْعَى زيدًا بموضع يُعرَفُ بالكُنَاسةِ، يدعو إلى الحق، يتبعه عليه كل مؤمن.
(٤) دهى يَدْهُو دَهاءً: ورجل داهية: بصير بالأمور.
(٥) وقد أُطلِقَ على الإمامِ زيد (عليه السلام) اسم حليف القرآن، لأنه خلا به متدبرًا آياته مدة ١٣

كـــلٌّ يُـــقَـــصِّـــرُ عـــن مـــدى مـيـدانـه
وهـو الـمُـجَـلِّي[١] فـي الـكـرامِ بلا مِـرَا
بـــــاللهِ أَحـــلِــفُ أنّـــه لأجـــلُّ مَـــنْ
بـعـدَ الـوصـيِّ سِـوى شَـبـيـرَ وشَـبَّـرا
قـــد فـــاقَ ســـادةَ بـيـتـهِ بـمـكـارمٍ
غـرَّاءَ جَـلَّـتْ أن تُـعَـدَّ وتُـحْـصَـرا[٢]
بـســماحــةٍ نـبـويـةٍ قـــدْ أخْـجَـلَـتْ
بـنـوالِـهـا حـتـى الـغـمامَ المـمـطِـرا
وشـجـاعـةٍ عـلـويَّـةٍ قـدْ أَخْـرسَـتْ
لـيـثَ الـشـَّرى فـي غـابِـهِ أنْ يـزأرا
مـا زالَ مُـذْ عَـقَـدتْ يـداه إزارَهُ
لـم يَـدْرِ كـذْبًـا فـي المـقـالِ ولا افْـتِـرا
لَـمَّـا تـكـامَـلَ فـيـهِ كـلُّ فضيلةٍ
وسـرَى بـأفـقِ المـجـدِ بـدرًا نـيِّـرا
ورأى الـضَّـلالَ وقـد طـغَـى طـوفـانُـهُ[٣]
والـحـقّ قـد ولَّـى هُـنـالـك مُـدْبِـرَا

عامًا.

(١) يقال للسابق الأول من الخيل الـمُـجَـلِّـي.

(٢) راجعْ أقوال (أبي حنيفة النعمان) و(الإمام الباقر) و(خالد بن صفوان المنقري) وغيرهم في الإمام زيد (**عليه السلام**) في الحدائق الوردية وغيرها.

(٣) كانت الدولة الأموية في عهد هشام بن عبد الملك تتجاوز حدود الله، وتظلم الناس، وتنشر الضلال.

سلَّ السيوفَ البِيضَ من عزماتِهِ[١]
ليؤيِّدَ الدينَ الحنيفَ ويَنْصُرَا[٢]
وسرَىٰ على نُجب الشهادةِ قاصِدًا
دارَ البقا يا قربَ ما حَمِدَ السُّرَىٰ
وغدا وقد عقَدَ اللِّوا مُسْتَغْفِرًا
تحتَ اللِّوا ومُهَلِّلًا ومُكَبِّرا
للهِ يحمدُ حينَ أكملَ دينَهُ
وأنالَه الفضلَ الجزيلَ الأوفرا[٣]
يُؤْلي أَلِيَّةَ[٤] صادقٍ لو لم يكنْ
لي غيرُ يحيىٰ ابْني نصيرًا في الورىٰ[٥]
لم أثنِ عزمي أو يعودَ بيَ الهدىٰ
لا أَمْتَ فيه[٦] أو أموتَ فأُعْذَرا
ما سَرَّني أنّي لقيتُ محمَّدًا
لم أُحْي معروفًا وأنكرْ منكرا

---

(١) انطلقت ثورته (عليه السلام) ضد الظلم عام ١٢٢هـ.
(٢) قال الإمام زيد (ع) في إحدىٰ خطبه: عبادَ الله لا تقاتلوا عدوَّكم علىٰ الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة ثم القتال. انظر: الحدائق الوردية ١/ ٢٤٩.
(٣) قال في الإفادة ص ٤٧: لما خفقت الرايات فوق رأسه قال: (الحمد لله الذي أكمل ديني، لقد كنت استحيي من رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله أن أَرِدَ عليه ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر).
(٤) يولي: يحلف، والألية: القسم.
(٥) تفرَّق أهلُ الكوفة عنه بعد أن اشتمل ديوانه (عليه السلام) علىٰ بيعة ١٥ ألفًا منهم.
(٦) لا أمت فيه: لا عوج.

فـأتـوا إلـيـهِ بـالـصَّـواهِـل شُـزَّبًـا
وبِيَـعْـمُـلاتِ العِيسِ تَنْفخُ في البُرَىٰ[١]
وبـكـلِّ أبـيـضَ بـاتـرٍ وبـكـلِّ أزْ
رقَ نـافـذٍ وبـكـلِّ لَـدْنٍ أسـمـرا[٢]
فـغـدَتْ وراحـتْ فـيـهـمُ حـمـلاتُـهُ
وسـقـاهُـمُ كـأسَ المـنـيّـةِ أحـمـرَا
حـتّـىٰ لـقـد جَـبُـنَ المـشـجّـعُ مِـنْـهُـمُ
وانْـصَـاعَ لـيـثـهُـمُ الـهـصـورُ مُـقَـهْـقِـرا
فـهـنـاكَ فـوَّقَ[٣] كـافِـرٌ مِـنْ بينِهِمْ
سـهـمًـا فـشـقَّ بـه الـجـبـينَ الأزهـرا
تـركـوه مُـنْـعَـفِـرَ الـجـبـينِ وإنّـمـا
تـركـوا بـه الـدِّيـنَ الحنيفَ مُـعَـفَّـرا[٤]
عَـجَـبًـا لـهـمْ وهُـمُ الـثـعـالـبُ ذلَّـةً
كيفَ اغتدىٰ جَـزْرًا لهم أسَـدُ الشَّرىٰ؟

---

(١) الصواهلُ: الخيلُ، والشزَّبُ: صفةٌ لها وهي الضامرةُ المعدَّةُ للحربِ والقتالِ. واليعملات: هما الجمل والناقة المطبوعان على العمل، والبُرىٰ: جمع برة كل حلقة من سوار في أنف الناقة، والبرى أيضًا: التراب.
(٢) الأبيضُ: السيف. والأزرق: النَّصْلُ، وهو حديدةُ السَّهْمِ والرُّمْحِ والسيفِ ما لم يكنْ له مَقْبِضٌ. واللَّدْنُ: الرمح.
(٣) فَوَّقَ السَّهْمَ: حَـرَّكَـه.
(٤) كان استشـهاد الإمام صلوات الله عليه ليلة الجمعة لخمس بقين من المحرم سنة ١٢٢هـ على أصح الأقوال.

صلبوهُ ظُلمًا بالعراءِ مجرَّدًا
عن بُرْدِهِ وحمَوْهُ مِنْ أن يُسْتَرا
حتى إذا تركوه عُرْيَانًا علَى
جذعٍ عتوًّا منهمُ وتجبُّرا
نسجَتْ عليهِ العنكبوتُ خيوطَها
ضَنًّا[1] بِعَوْرتهِ المصونةِ أن تُرى
ولجِدِّهِ نسجَتْ قديمًا إنها
لَيَدٌ يحقُّ لمثلِها أن تُشْكَرا
وَنَعَتْهُ أطيارُ السماءِ بواكيًا
لَمَّا رَأَتْ أمرًا فظيعًا مُنْكَرا[2]
أكذَا حَبِيبُ اللّهِ يا أهلَ الشَّقَا
!وحبيبُ خيرِ الرسْلِ يُنْبَذُ بالعَرَا؟
يا قُربَ ما اقْتَصيَّتْمُ مِنْ جدِّهِ
وذكرتُمُ بَدْرًا عليهِ وخيبرا
أمَّا عليكَ أبا الحسينِ فلَمْ يزلْ
حُزني جديدَ الثّوبِ حتّى أُقْبَرا
لم يَبْقَ لي بعدَ التجلُّدِ والأسى
إلا فنائي حسرةً وتفكُّرا

---

(١) ضَنًّا: بُخْلاً، والضنين: الشديد البخل.
(٢) راجع عن نعي الأطيار (حُميد الشهيد المحلي) في الحدائق الوردية، والمرشد بالله في الأمالي الاثنينية.

يـا عُـظْـمَ مـا نـالَـتـهُ مِـنـكَ مَـعَـاشِـرٌ
سُـحْـقًـا لـهـم بـيـنَ الـبـريَّـةِ معشرا
قـــادوا إلــيـكَ الــمُـضْـمَـراتِ كـأنَّـما
يغزونَ كِسْرىٰ - وَيْلَهُمْ - أو قيصرا
يَـا لَـوْ دَرَتْ مَـنْ ذا لـه قِـيـدَتْ لَمَا
عَـقَـدَتْ سنابكُها عليها عِـثْـيَـرا[١]
حـتـىّٰ إذا جـرَّعْـتَـهـم كـأسَ الـرَّدىٰ
قـتـلًا وأفْـنَـيـتَ الـعـديـدَ الأكـثـرا[٢]
بـعـثَ (الـرمـاةُ) إلـيـكَ سـهـمًـا نـافـذًا
مَـن راشَـهُ شُـلَّـتْ يـداهُ ومَـن بَـرىٰ[٣]
يـا لـيـتـنـي كـنـتُ الـفِـداءَ وإنَّـهُ
لـم يـجـرِ فـيـكَ مـن الأعـادي مـا جرىٰ
بـاعـوا بـقـتـلِـكَ ديـنَـهـم تـبًّـا لَـهُـمْ
يـا صـفـقَـةً فـي دِيـنـهـم مـا أَخْـسَـرا
نَـصَـبـوك مَـصْـلـوبًـا علىٰ الـجـذع الّـذي
لَـوْ كـان يـدْري مَـنْ عليه تَـكَـسَّـرا

---

(١) العِثْيَرُ: بكسر فسكون ففتح : التُّرَابُ.
(٢) كان الإمام زيد (عليه السلام) قد حقق انتصارات كبيرة علىٰ الجيوش الأموية، من تلك الانتصارات هزيمته للريان بن سلمة البلوي صاحب خيل يوسف بن عمر بعثه في نحو من ألفي فارس وثلاثمائة رجّالة لمقاتلة الإمام زيد إلىٰ دار الرزق، فمني بالهزيمة. راجع الحدائق الوردية ١/ ٢٥٨، والأمالي الاثنينية، والمقاتل.
(٣) راش السهمَ: ألزقَ عليه الريش، وبَرَىٰ السهمَ: نَحَتَهُ.

واسْتَنزلوكَ وأضرموا نيرانَهُمْ
كيْ يُحرِقوا الجسْمَ المصونَ الأَطْهرا[١]
فَرمَوْكَ في النِّيرانِ بُغْضًا مِنهمُ
لِمُحمَّدٍ وكراهةً أن تُقْبَرا
ولكادَ يُخفيك الدُّجَى لو لم يَصِرْ
بجبينِك الميمونِ صُبحًا مُسْفِرا
ووَشَى بتُرْبتِك التي شَرُفَتْ شذىً
لولاهُ ما علمَ العدوُّ ولا درى
طيبٌ سَرَى لكَ زائرًا من طَيْبةٍ
ومن الغَرِيِّ يُخَالُ مِسكًا أَذْفرا[٢]
وذروا رمادَكَ في الفراتِ ضلالةً
أَتُرَى دَرَى ذاري رمادِك ما ذَرا[٣]؟
هيهاتَ بلْ جَهِلُوا لطيبِ أريجهِ
أَرَمادَ جسمِكَ ما ذَرَوْا أم عَنْبَرا؟

---

(١) ولي الخلافة الوليد بن يزيد بعد موت عمه هشام بن عبد الملك، وهو الذي أمر بتحريق الإمام زيد بعد أن مكث مصلوبًا بالكناسة أكثر من سنتين.

(٢) المسك الأذفر: الظاهر الشديد الرائحة.

(٣) كثرت كراماته (عليه السلام)، قال في التحف ص٧٥: ومنها أنها لما كثرت الآيات في حال صلبه أحرقوه وذروه في البحر فاجتمع في ذلك الموضع كهيئة الهلال، قال الديلمي صاحب القواعد: قد رأيناه، ويراه الصديق والعدو بلا منازع. ومن كراماته ما جرى مع محمد بن صفوان الجمحي حين قام على منبر مدينة الرسول الأعظم يلعن الإمام زيدًا وأهل بيته، حيث رماه الله في رأسه بصدع ذهب معه بصره في تلك الساعة ـ الحدائق الوردية ١/ ٢٦٢.

سعدَ الفراتُ بقربهِ فَلوِ انَّه
ملحٌ أُجاجٌ عادَ عذبًا كوثرا
هذا جزاءُ أبيكَ أحمدَ مِنْهمُ
إذ قامَ فيهمْ مُنْذِرًا ومُبشِّرا
وجزاءُ نُصْحِكَ حينَ قمتَ بأمرهِ
وسريتَ بدرًا في الظلامِ كما سرى
فاسعدْ لدى رضوانَ بالرضوانِ مِنْ
ربِّ السماءِ فما أحقَّ وأجدرا
يهنيكَ قدْ جاورتَ جدَّكَ أحمدًا
وأنالك اللهُ الجزاءَ الأوفرا
أَهْوِنْ بهذي الدارِ في جنبِ التي
أصبحتَ فيها للنعيمِ مُخَيَّرا
لو كانَ للدنيا لدى خَلَّاقِهَا
قَدْرٌ لَخَوَّلَكَ النصيبَ الأوفرا
بلْ كنتَ عندَ اللهِ جلَّ جلالُهُ
مِنْ أنْ يُنِيلَكَهَا أَجَلَّ وأخطرا
يا ليتَ شِعْرِي هلْ أكونُ مجاورًا
لكَ أمْ تردُّنيَ الذنوبُ إلى الورا؟
أَأُذَادُ عنكمْ في غدٍ وأنا الذي
لي في ودادِكَ ذمةٌ لن تُخْفَرا؟

قل ذا الفتى حَضَرَ اللقا معنا وإنْ
أبطا بهِ عنَّا الزمانُ وأخَّرا
يا خيرَ مَنْ بقيامهِ ظَهَرَ الهُدى
في الأرضِ وانهزمَ الضلالُ وقهقرا
عُذْرًا إذا قَصُرَتْ لديكَ مدائحي
فيحقُّ لي - يا سيدي - أنْ أُعْذَرا
لم أجْرِ في مدحيكَ طِرْفَ عبارةٍ
إلا كَبَا مِنْ عَجْزِهِ وتَقَطَّرا[1]
أَتَخَالُني لِمَدَى جلالِكَ بالغًا
اللهُ أكبرُ ما أجلَّ وأكبرا
ماذا الذي المعصومُ دونَك حازَهُ
إذ لم تزلْ ما يشينُ مُطَهَّرا
صلى عليكَ اللهُ بعدَ محمدٍ
ما سارَ ذكرُكَ مُنْجِدًا أو مُغْوِرا
والآلِ ما حيَّا الصَّبَا زَهْرَ الرُّبَا
سَحَرًا وَعَطَّرَ طِيبُ ذِكْرِكَ مِنْبَرا

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

***

(١) الطِّرْفُ - بكسر الطاء: الأصيلُ من الخيلِ، وطِرْفُ عبارةٍ مجاز. وكَبَا: سقط. وتَقَطَّر: رَمَى بنفْسه من عُلُوٍّ.

المحتويات

مقدمة ٣
كيف نقرأ تاريخ أهل البيت (عليهم السلام)؟ ٥
واقعة كربلاء (٦١ هـ) وما كشفته ٦
الأمة تدفع ثمن تفريطها ٧
كربلاء تؤسس لقهر الأمة على امتداد التاريخ ٨
نهاية الدولة السفيانية ٩
الأمة الإسلامية في قبضة طواغيت بني أمية ١٠
مصير الأمة التي تفرط في قادتها ورموزها ١٢
لماذا لم يكتب لتلك الثورات النجاح؟ ١٢
الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) ١٤
الوضعيات التي يفرضها المتخاذلون ١٦
زيد بن علي (عليه السلام) ١٦
نشأته المباركة ١٩
حرصه الكبير على الأمة واستشعاره للمسئولية ٢١
الرحلة القسرية إلى الشام ٢٣
الإمام زيد يلقي نظرة وداع على قبر جده المصطفى ٢٤
الإمام زيد في حاضرة الدولة الأموية ٢٤
الدخول الأول: ٢٥
الدخول الثاني: ٢٦
الدخول الثالث: ٢٧
ومن دمشق إلى العراق ٢٨
بداية التحرك الثوري ورسم معالمه ٣١
الظروف التي تحرك فيها الإمام زيد (عليه السلام) ٣٢
المبادئ التي تحرك على أساسها الإمام زيد (عليه السلام) ٣٦
تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بالقرآن الكريم ٣٨

كان الإمام زيد (عليه السلام) علماً لكل الأمة ٣٩
تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بدافع المسؤولية الإيمانية . ٣٩
إحياء الإمام زيد (عليه السلام) لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٤٠
الإمام زيد (عليه السلام) يخاطب علماء السوء ٤٣
خروجه (عليه السلام) ٤٥
وصية الإمام زيد لولده يحيى (عليهما السلام) ٤٧
من وحي ثورة الإمام زيد بن علي (عليه السلام) ٥٠
ما الذي جعل الإمام زيداً (عليه السلام) ينهض؟ ٥٢
الرسولُ كان قد قدّم إنذاراً مبكراً بخطورة هذا التسلط الأموي..... ٥٤
ثورة الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) ثورة مشروعة ٦٣
الإمامُ زيدٌ (عليه السلام) عمِلَ على إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقع الأُمَّة ٦٩
دروس وعبر..... ٧٨
ثورة الإمام زيد هي مدرسة كبرى مليئة بالدروس والعبر..... ٧٨
نحن بأمسّ الحاجة إلى أن نعود إلى مدرسة الإمام زيد ٧٩
١ـ التحرك الجاد ضد الطغاة والمستكبرين وكسر حالة الجمود والإذعان ٨٠
٢ـ الرحمة للأمة والتضحية من أجل عزتها وحريتها وكرامتها ٨١
٣ـ استشعار المسؤولية والتحرك الجاد والفاعل ٨٢
٤ـ كيف نخلع ثوب الذل والخوف ٨٣
٥ـ البصيرة والوعي ٨٤
٦ـ عظمة أن ترى نفسك مجاهداً في سبيل الله ٨٥
٧ـ العزة والحرية والإباء ٨٦
٨ـ التضحية لتبقى القيم والمبادئ والأخلاق..... ٨٧
٩- الارتباط الوثيق بالله والخشية منه والثقة به والحب له وتقواه: . ٨٨
١٠- الثبات وعدم التراجع ٨٩
وختاماً..... ٩١
ماذا يعني التولّي للإمام زيد؟ ٩١
مما ورد في رثاء الإمام زيد بن علي (سلام الله عليه) ٩٢

تم بحمد الله